

دليل الأندلس أو الأندلس كأنك تراها لسعيد أبو بكر (1899-1948 م)

زار سعيد أبو بكر الجزائر والمغرب، رغبة منه في لقاء أدباء تعرّف عليهم بالمراسلة. ثم أتاحت له فرصة الرحلة إلى الأندلس، فزار إشبيلية وقرطبة، ودون مشاهداته وخواطره ووصف الآثار الإسلامية بهما وصفا دقيقا مدعوما بـ 35 صورة فوتوغرافية وخريطة. وقد أهدى سعيد أبو بكر كتابه إلى طارق بن زياد، وعبر فيه عن حنين جارف إلى الأندلس، صاحبه منذ طفولته. تكفلت بنشر الكتاب المطبعة الأهلية سنة 1933.

المؤلف : أبو بكر، سعيد

الناشر : المطبعة الأهلية

تاريخ النشر : 1936

اللغة : عربية

الموضوع : أدب الرحلات

تصنيف ديوي العشري :

المفاتيح : سعيد أبو بكر، الأدب التونسي، أدب الرحلة الأندلس، الحياة الاجتماعية في الأندلس، إشبيلية، قرطبة، الخلدونية الرقمية، الإنسانيات الرقمية

A-8-152604

* سعيد أبو بكر *

دليل الأندلس أو

الأندلسى كأنك تراها

الجزء الأول *
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE
(أشيلية - و - قرطبة)

وصف دقيق لجميع الآثار العربية بالمدينتين

٣٥ صورة فوتوغرافية وخريطة

* ثمن النسخة (١٥) خمسة عشر فرنكا *

[Faint handwritten notes at the bottom of the page]



دليل الأندلس

أو

الأندلسى كنك تراها

الجزء الأول

(اشيلية - و - قرطبة)

وصف دقيق لجميع الآثار العربية بالمدينين

٣٥ صورة فوتوغرافية تمثل تلك الآثار وخريطة للسكك الحديدية بالأندلس

تأليف

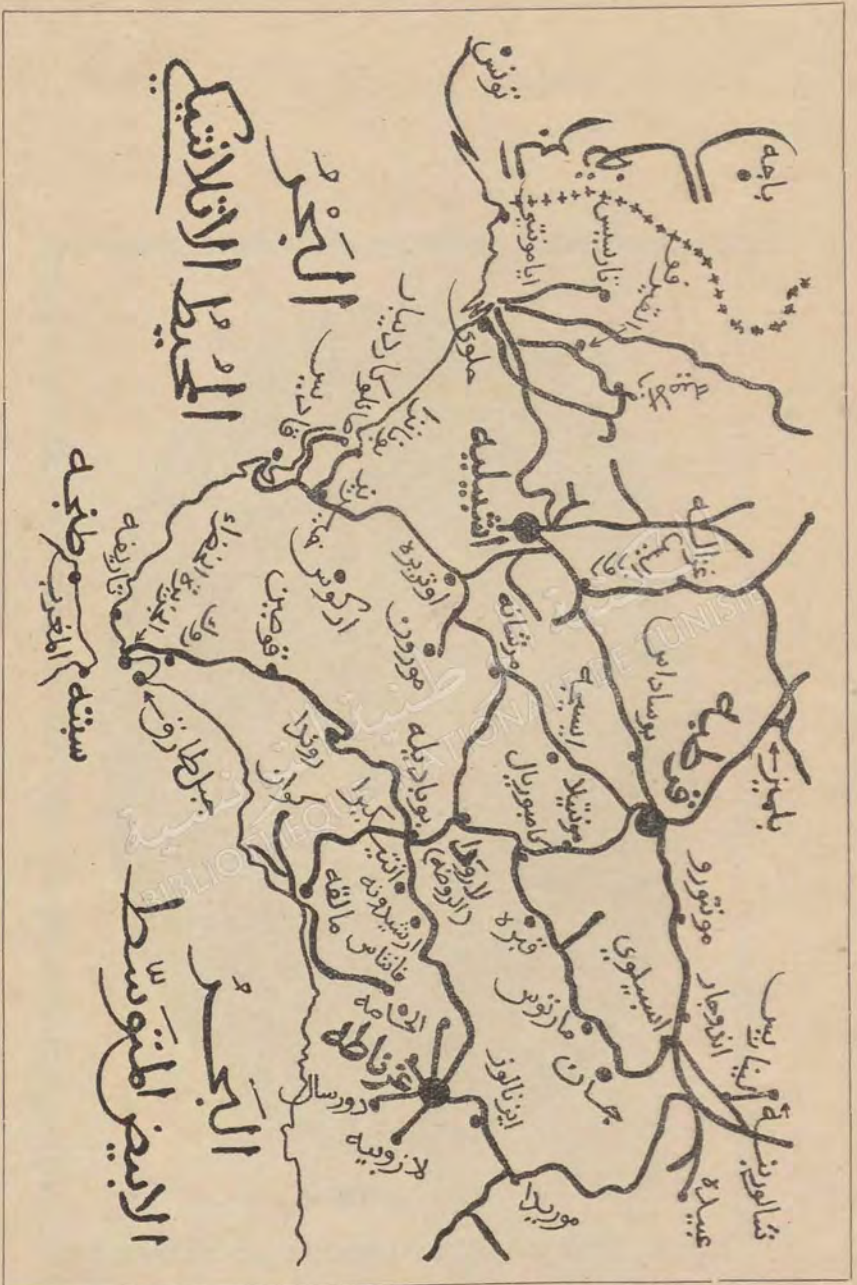
* سعيد ابوبكر *

* حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف *

42947



صورة تمثل الحكيم المستنصر الاموي احد ملوك الاندلس
عند ما قدم عليه الملك النصراني « اردون » وهو الجاث امامه يطلب المهادنة والاستئمان
على نفسه والتحكيم في ماله وملكه



خريطة السكك الحديدية لبلاد الاندلس (تخطيط المؤلف)
 (انظر اثمان الركوب في وسط الكتاب)



اهداء الكتاب

اعتاد الناس ان يهدوا كتبهم وتآليفهم الى واحد من ثلاثة
رجل يعثر عليهم كثيراً فارادوا ان يقدموها له عربوناً على الصداقه
او رجل له عليهم فضل كبير فارادوا ان يقدموها له اعترافاً بالجميل
او رجل آخر صاحب جاه عظيم فارادوا ان يقدموها له للاستفادة
من ماله او جاهه

اما انا فلي اصدقاء كثيرون بودي ان اقدم كتابي اليهم
ولي رجلان اثنان لهما فضل علي هما والذي واستاذي بودي ان
اقدمه الى احدهما ايضاً ولكنني لم افعل لان هناك من هو جدير
بهذا الشرف اكثر منهم جميعاً

ذلك الرجل العظيم الذي ساقدم اليه كتابي هذا هو الذي
كان سبباً في فتح الاندلس. هو الذي على يديه وضعت فيها
العرب اقدامها. ذلك الرجل العظيم هو طارق بن زياده. فالى
روحك الطاهرة يا طارق لي الشرف بان اهدي كتابي.

سعيد ابو بكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كيف وصلت الى الاندلس

الاندلس ... هي الكلمة الخفيفة التي لا يكاد يتعطل في النطق بها انسان منا. وهي الكلمة الثقيلة التي لا يكاد يتحمل وقعها على قلبه منا رجل واحد. الاندلس ... هي الكلمة البسيطة التي تجعل كل عربي سمعها يشعر بذلك المجيد الطابع وذلك التقدم الباهر ويتحسر على تلك الجنة الزاهرة وتلك الربوع الجميلة ويتاوه على هاتيك النكبة العظمى والمصيبة الجلى اللتين ختمتا ذلك العصر الاسلامي في تلك البلاد.

الاندلس ... هي الكلمة التي لا زلت اذكر دموع معلمي تترقرق في عينيه عند ما كان يحدثنا عليها ونحن صغار في المدرسة. وهي الكلمة التي لا تطاوعه يده الا بجهد جهيد عند ما كان يقدمها امامنا ليضعها على المساحة الصغيرة التي تشغلها في الخريطة. وهي الكلمة التي دخلت الى قلوبنا منذ الصغر ونقشت عليه باحرف من نار وكلما زادت اعمارنا زادت تلك النار اشتعالا.

الاندلس ... هي الاندلس وكفى.

لقد كنت احب هذه البلاد من صغري. وكنت اتشوق الى سماع الحديث عنها. وكنت اعتنى بحفظ اخبارها لايدها للناس مرة اخرى. وكنت اذا حدثت غيري عنها فكانتني كنت احده عن شيء من السحر بودي ان يسمع الناس كلامي عنه بدون ان يعرفوا من اين جلبت لهم اخباره.

وانتهيت ايام دراستي واشتغلت بقراءة الجرائد والمجلات والكتب العربية فكنت احفل بكل شيء منها اجد فيه وصفا الى احدى جهات الاندلس او صورة تمثل بعض الآثار العربية فيها. بل انني كنت لا اقتنع بذلك فاصبحت افتش عن اخبارها ومناظرها حتى في الكتب المؤلفة باللسان الفرنسي.

وهكذا ازداد حبي الى الاندلس يوما فيوما وانا ^{مفجور} بما عندي من اخبارها التي كنت احافظ عليها ومن صور اثار العرب فيها التي كنت اعلقها في مكتبي وفي بيتي.

ازداد حبي لها واخذت اشعر بشيء جديد لم يكن يخطر ببالي من قبل وهو شوقي وحيني اليها. ولكنني لم اكن ادري بماذا اقابل ذلك الشوق في نفسي وانا لم اكن احلم حتى بالوصول الى حدود شقيقتنا الجزائر.

غير ان الجزء الاول من ديواني (السعيديات) اراني بصيصا من النور وفتح لي طاقة صغيرة في الباب الذي كنت اطرقه بدون جدوى.

لم يكده يصدر ذلك الكتاب حتى انشر في الشقيقتين الجزائر والمغرب الاقصى انتشارا لم اكن احلم به. وبذلك فقد اصبح لي في البلادين اصدقاء من الادباء اخذوا يرسلونني وارسلهم حتى استحكمت صلة الود بيننا وامست تلك الرسائل لا تشفي غليلنا ولا تظفي لهيب اشتياقنا الى بعضنا. فاصبحنا نتعرض في رسائلنا الى الزيارات الشخصية ولكن اتضح انها متعذرة عليهم كما كانت متعذرة علي من قبل. فاردت ان اكون انا الباديء بالزيارة واخذت حقيقتي وعزمت على الوصول حتى الى المغرب الاقصى بدون ان اكون قد عولت على الانتهاء في هذه الجولة حتى الى بلاد الاندلس. ركب القطار ونزلت في غالب العواصم الجزائرية وفي مدينة (تلمسان) كدت ارجع الى تونس لولا اني علمت ان مدينة (وجده) من المغرب لم تعد تبعد عني الا بضعة عشرات من الاميال. فتحولت فكرتي فجأة وبادرت باخذ تذكرة من تلمسان الى وجده في عربة لشركة نقل بين المدينتين بعد ان راجعت اوراقتي لاتحقق وجود

الجواز الذي اخذته للبلاد المغربية بناء على ما سمعته هناك من شدة المراقبة على الوافدين عليها.

ولما اصبح الصباح كنت في طريقي الى المغرب وفي منتصف النهار كنت جالسا في احدى مقاهي « وجده » امتع ناظري في جمالها واسمع لهجات اخرى في الكلام غير اللهجات التي تعودت سماعها في مدن الجزائر.

وبعد ان دخلت الى غالب عواصم المغرب الواقعة تحت النفوذ الفرنسي حولت وجهي الى المنطقة الاسبانية منه وهي المعبر عنها ببلاد « الريف » ولكنني وجدت نفسي امام صعوبة جديدة وهي وجوب الاستظهار برخصة خاصة تمكنني من الدخول الى الريف. وقد كدت ارجع عن زيارتها لولا وجود احد الاصدقاء الذين تعرفت بهم في « رباط الفتح » اعلمني بان له صداقة مع كاتب القنصل الاسباني بتلك المدينة يمكنني ان نعتمد عليه في الحصول على تلك الرخصة. وبمجرد وقوفي امامه اخذ جوازي الى المغرب وطبع عليه طابع القنصلية وكتب فيه الرخصة الجديدة.

اخذت ذلك الجواز ووضعتة امامي وتذكرت ان المدة التي قضيتها الى حد الان في الارتحال قد قاربت الخمسة اشهر وقد انهكتني الالام وخفت ان تطول مدة زياتي الى الريف فطويته وعولت على الرجوع من طريقي ولكنني لم اكدم اصل الى « فاس » حتى اخذت اشعر بالندم قائلا في نفسي انني لا ادري اذا كانت تسمح المقادير برجوعي الى هذه الربوع . واذا انا بارحتها اليوم فقد ضاعت الفرصة الى الابد.

وفي صباح الغد كنت راكبا في الرتل متوجها الى مدينة « طنجة » التي وصلناها في آخر النهار . فاجتمعت فيها باصدقاء كثيرين من الادباء كنا تعارفنا بالمكاتب كانوا يتجولون بي في تلك المدينة الفتانة ويوقفونني على ما فيها من سحر وما وهبتها الطبيعة من جمال . ولكن كم كانت دهشتي شديدة عند ما اشار احدهم باصبعه الى جهة يفصلها عنا البحر وهو يقول لي : « انظر الى ذلك الشاطي . . . هو شاطي الاندلس . »

وهنا تحركت في عاطفة حبها القديمة خصوصا بعد ان صرت ابصرها بعيني وارى

بلدة «طريف» وبياض جدرانها بغير ناظور . فلم آتمالك نفسي واقدمت على اقتحام كل المشاق في مسيل الوصول اليها مهما كانت التكاليف وشرعت اسال عن الكيفية التي يمكنني بها التحصيل على جواز الى اسبانيا نفسها . ولكن سرعان ما تهللت اسارير وجهي عند ما اطلع احد اولئك الاصدقاء الذين لهم خبرة باللغة الاسبانية على جوازي فبشرني بان قنصلية الرباط كتبت عليه انه يسوغ لي الدخول الى المنطقة الاسبانية بالمغرب والى اسبانيا في وقت واحد .

لم يطل مكوثي في طنجة . وذلك لاني اصبحت اشعر بقوة خارقه تسوقني الى بلاد الاندلس وان تلك اللذة التي اصبحت أتصورها هناك قد تضاعفت امامها هذه اللذة التي اشعر بها هنا بين اصدقاء لم اتكبد الاتعاب الا للاجتماع بهم .

واخيرا اخذت تذكرة منها الى عاصمة الريف مدينة «تطوان» ووصلتها السيارة بعد ان اوقفتنا اعوان الجندرية الاسبانية مرات عديدة لتتظر في جوازاتنا بكل تدقيق . وفيها اجتمعت ايضا بنخبة من الاصدقاء والادباء اطلعوني على جمال تلك المدينة وعلى البقاع التي وصلتها القنابل التي كان - منذ مدة قليلة - يقذفها القنايد عبد الكريم بعد ان اشاروا الى الجبال المحيطة بالمدينة تلك الجبال التي كان ذلك البطل يسكنها بجنوده .

وهنا - في تطوان - رايت كل اكرام من اهلها وحتى من اعوان الحكومة الاسبانية التي طلبت مني زيارة سفارتها للاطلاع على المكتبة العمومية فيها اين اقتبلوني ومن معي من الاصدقاء بكل حفاوة واطلعونا على كنوز تلك المكتبة العظيمة . وما كادوا يعرفون عزمي على الذهاب الى اسبانيا حتى اعطوني ارشادات كثيرة وزاد حافظ المكتبة في اكرامي فاعطاني توصيات كتابية الى بعض اصحاب الجرائد في عواصم الاندلس .

ولما رايت نفسي الان على استعداد السفر الى اسبانيا بادرت بالذهاب الى (صراف) هناك وابدلت كمية من نقودي الافرسيية بنقود اسبانية وفي صباح الغد كنت راكبا

في الرتل الذي سيوصلني الى مدينة « سبتة » اين نجد في أنتظارنا السفينة البخارية الصغيرة التي سنقطع عليها بוגاز جبل طارق.

كان خروجنا من تطوان مبكرا جدا. وبناء على ان المسافة التي تفصلها عن سبتة هي مسافة قليلة فقد كان وصولنا الى هذه الاخيرة بعد طلوع الشمس بقليل. وهناك قطعت تذكرتي الى « الجزيرة الخضراء » وما كدت اضع رجلي على الباخرة حتى تقدم نحوي رجل بين يديه مقتطع وهو يسألني اذا كنت اريد الذهاب في صبيحة اليوم نفسه الى « اشبيلية » واعلمني بان العربيه السريعه تنتظر وصول باخرتنا للجزيرة الخضراء لتأخذ المسافرين الذين لا يريدون ان يبقوا نهارا كاملا فيها اذا كانت وجهتهم اشبيلية او غيرها. ولما رايت الناس يصدقونه وياخذون منه تذاكرهم فعلت مثلهم واخذت تذكرتي ليممكنني ان اقضي ليلتي في تلك المدينة (اشبيلية) التي هي احدى المدن العظيمة باسبانيا لاسيما وهي احدى المدن التي كنت معولا على زيارتها لانها - كما لا يخفى - كانت احدى العواصم الكبرى في ايام المسلمين.

وسمعنا - اخيرا - صغير الباخرة ثم شعرنا بسيرها البطيء الى ان ابتعدت قليلا عن الشاطئ فضاعت سيرها واخذ الركاب ينظر كل واحد منهم الى الجهة التي اخذت بمجامع قلبه من تلك الجهات التي وهبها الله من الجمال ما وهب. هذا ينظر الى مدينة (سبتة) ومركزها الجغرافي البديع. وذاك ينظر الى الجبال التي تحيط بها وتزيد في رونقها وفي مناعتها. وذلك يجول بنظره الى احدى جهتي الباخرة ينظر الى عرض البحر. والاخر ينو الى تلك الجهات التي هي امامنا والتي سنكون بعد زمن قصير بجانبها. اما انا فقد كنت انظر الى كل شيء. نظرت الى جميع الجهات. ولما وقع بصري على جبل طارق لم اطق ان احوله عنه. وقد كان بودي لو رست الباخرة حوله لتمكننا زيارة المدينة نفسها. ولكنها تابعت سيرها الطبيعي بجانبها لتقف بنا في مرسى (الجزيرة الخضراء).

كانت المدة التي قضيناها في البغاز لا تزيد عن ساعة ونصف ولذلك فقد كان

وصولنا الى المرفأ على الساعة الحادية عشر على سبيل التقريب . وما كدنا ننتهي من اعمال الديوانه التي كنت ارى منها صلابه لم ارها في جميع امثالها مما قدر لي المرور على يديها الا عند منتصف النهار . ولما تمت تلك الاعمال التي يخيل للانسان امامها انه امام زبائنه الجحيم سلمت حقيتي الى « جمال » نصراني وجدته امامي وضعها على راسه واخذ يمشي امامي نحو العربه التي كنا نراها من بعيد . وتلك هي المرة الاولى في حياتي رايت فيها « القبعه » تحمل حقيسه « الطربوش » . وهو امر جعلني اتذكر السيارة الحقيقية - لاهذه السيارة الزائفه - التي كانت قبل اليوم لاجدادنا المسلمين في هذه البلاد .

وصلنا الى العربه التي ستقلنا الى (اشبيليه) وسلمت الى المكلف بها حقيتي واطلعت على تذكرة الركوب التي كنت اخذتها على الباخرة وعلمت ان السفر سيكون على الساعة الواحد بالتدقيق .

اذن فالى اول مطعم يعترضني في طريقي ثم الى اقرب مقهى . وقبل الوقت الذي يجب ان تسافر فيه العربه بنصف ساعة كنت جالسا على كرسي في مقهى قريه من البحيرة اشرب كاسا من « الليمون » طلبته عند ما علمت ان القهوة غير حاضره في ذلك الزمان

كنت اتناول ذلك الكاس واشعركا نثي انتصرت على كل قوة قاهرة كانت تصدني عن وضع قدمي على هذه الارض . واحس باشياء تجعلني ارى نفسي محسودا عليها . واتصور كيف يتلقى اصدقائي بتونس خبر وصولي الى الاندلس وكيف انهم سيغبطونني على هذه الزيارة التي لم تكن في الحسبان .

وكنت اتناول ذلك الكاس وافكر في الكتب التي كنت قراتها عن الاندلس او الرحلات التي طبعها زملائي المؤلفون الذين سبقوني الى هذه الربوع ولكنني لم اتذكر شيئا يصلح ان استدل به على كيفية زيارة ما ابقى العرب فيها من الآثار لم اتذكر شيئا يصلح ان يكون لي دليلا باتم معنى الكلمة يمكنني ان اسير

بمقتضاه وان اتبع الارشادات التي يسديها. لم اذكر شيئا يمكنني به ان اتخلص من حيل المحتالين ومن جزعيلات الدجالين الذين يغتمون فرصة وجود السائح الاجنبي ليبتزوا منه امواله بكل طريقة. لم اذكر شيئا من ذلك . . . ويمكنني اذكر انني كنت اجد في كل كتاب ما وجدته في كتاب قبله والمؤلفون جميعا يملأون بطون مؤلفاتهم بتاريخ الاندلس والوقائع الحربية وكيف دخلها العرب وكيف خرجوا منها كان كتابا واحدا او عشرين كتابا او اكثر لا تكفي لذلك الغرض ذاته. وكانهم لا يريدون الا ان يقولوا على بعضهم ليقول كل واحد منهم ما قاله الاخر.

ولذلك فقد خطر ببالني انني ساكتب كل ما اراه وادون كل ما اسمعه واسجل كل ما يخطر ببالني اثناء رحلتي لاقوم بنشر كتاب يسد الثلمة التي لا ازال اراها مفتوحة في التأليف العربي واذكر فيه بلاد الاندلس كما هي اليوم تاركا لمن يريد الاطلاع على تاريخها المطول الجليل البحث عليه في اماكنه. ولو اني فكرت مع ذلك في تكليف كاتبين عظيمين من كتابنا التونسيين يلخص احدها حياة (الاندلس التاريخية) والاخر حياة (الاندلس الادبية) بصورة تمكن عدم المطالع على ذنبك التاريخي ان يعرفهما ببساطة وبدون ان يضيع وقته في التنقيب عنهما في الكتب والمجلات. وهتان الخلاصتان ساختم بهما الجزء الثاني من الكتاب الذي صحت غريبتني وانا في المكان الاول الذي نزل فيه طارق ابن زياد وجيوشه على ان اجعل قراء العربية في تونس وفي غيرها يشاركوني في فرحي وسروري ويقاسمونني تاوهاتني واحزاني.

ولما دفعت ثمن مشروبي واخرجت من جيبي قلمي ودفتري لاسجل النظرة الاولى التي القيتها على شاطي الاندلس واسجل الفكرة الاولى التي خالجتني عند ما وضعت قدمي عليها. . . هناك في تلك اللحظة سمعت صوتا ارجعت لسببه كل شيء لمكانه وقمت اجري نحو المكان الذي ابقيت فيه الحقيقة. ولعلمكم ادركتم كلكم ان ذلك الصوت هو صوت محرك العربة السريعة التي ساركبها الى اشبيلية. اذن فلنذهب الى اشبيلية.

من الجزيرة الخضراء الى اشبيلية

قطعت البغاز في اقل من ساعتين وتخلصت من الديوانه وعرفت مكان العربه التي ستحملني الى اشبيلية فوضعت بجانبها حقيتي وتناولت قليلا من الخبز والحوت وعلى الساعة الواحدة بكل تدقيق خرجت من الجزيرة الخضراء بعد ان بقيت بها حصه لا تزيد على الثلاثين دقيقه ولذلك وجب علي ان امر عليها في هذا المكان وسأحدثكم عنها في موضع آخر لانني لم اعرف ما فيها الا وقت رجوعي حيث مكثت بها يومين كاملين

خرجت من الجزيرة الخضراء فتجلى لي منظر جبل طارق العظيم وتبدت لي مناظر عجيبة تأخذ بجماع القلوب. وكانت العربه تجري وانا انظر على جانبي الطريق اشجار الزيتون والبرتقال وكان الناس يعترضوننا راكبين على الاحجار يحملون محمولات اراضيهم الى المدينة ليسعوها. واول بلدة وصلناها هي (لوباريه) وهي بلدة كل سقوفها من (القرمود) الذي يظهر ان الدهر اكل عليه وشرب. واهم ما يلتفت الانظار فيها صومعة طويلة هي عبارة عن ثلاثة بيوت بعضها فوق بعض. وقد رايت ونحن في شارعها الكبير باعة الماء يسوق كل واحد منهم حمرا عليه اربع قلال موضوعة على ظهره في اربعة مواضع مصنوعة من القصبان. وماكدنا نجتازها حتى اشرفنا على البساتين الجميلة التابعة لها ثم على غابة طويلة لا نرى فيها من حين الى حين الا بعض البيوت الخشبية او بعض بيوت اخرى من الحجارة متفرقة هنا وهناك تمتاز بنوافذها المثلثة الشكل. وكان بعض الركاب معي يطلبون من السائق ان يقف بهم فينزلون في المكان الذي يريدونه اين يجدون ابناءهم او خدامهم قد اعترضوهم ومع كل واحد بغلة عليها ركابية يقدمها الى ابيه او سيده ليعلو ظهرها. واخيرا دخلت بنا العربه طريقا في وسط غابة عظيمة يكفي ان اقول بانها قطعت فيها ساعة ونصف ساعة وهي تسير في منتهى قوتها.

وانتهينا اخيرا من هذه الغابة وبعد مدة دخلنا بلدة (القلعة) والقلعة منظرها العام

عجيب . منازلها فوق بعضها وعلى من الكل صومعة الكنيسة . جدرانها كلها نظيفة
بيضاء وسقفها قرمودية . وقفت عربتنا فيها ربع ساعة واحاط بنا جيش من الفتيات
الجميلات يظهر ان اهم شيء الفت انظارهن هو طربوشي . على ان الكثيرات منهن
ذهبن الى البلدة ثم رجعن مصحوبات باصدقائهن ليتمتعن بالنظر الى هذا (العربي)
الذي دخل لبلادهم بلبسة القومى . فكم من نظرة وقعت منهن على وجهي وكم من
مخادئات وقعت بينهن في شاني وكم من ابتسامات لطيفة ظهرت على ثغورهن كنت
انا السبب فيها

وتحركت العربـة فالتفت اليهن واشرت بيدي اشارة التحية التي رددنها علي بابتسامة
واخفاء واخذت العربـة تطوي الارض طيا لتصل بنا الى بلدة (المدينة) التي وصلناها
في آخر المساء وفيها ساحة عظيمة ومنظمة واجتازناها الى شارع طويل في جانبيه
صومعتان لكنيستين متقابلتين . وقد كدت اعتقد في هذه البلدة ان العرب لا يزالون
ساكنين فيها او على الاقل انهم لم يغادروها الا من مدة قليلة . فالابواب غالبها على
الشكل العربي . والقصبة او بعبارة اخرى مدخل القصبة لا شك انه لا زال على حالته
ايام العرب وهو مرتفع يصعد اليه بواسطة درجات عريضة . وقد الفت نظري بنوع
خاص منظر تلك الاحمره التي كانت تحمل الحطب في الانهج بصورة جعلتني اكاد اعتقد
باني في احدى بلدان الساحل التونسي . وتلك العربات التي كانت تحمل الشكاير في
صناديق من الاعواد الطويله تجرها ثلاثة بغال في الغالب .

واسترحنا فيها ربع ساعة فقط وغادرناها في طريقنا الى بلدة (خيريز) المشهورة
بقنطرتها القديمة العظيمة وتمتاز عن بقية البلدان التي تجاوزناها بكثرة الاقواس في بناءاتها
ويلوح ان فيها الشيء الكثير من الاثار العربية ومنها القصباء . ولما خرجنا منها في طريقنا
وقع بصري على عدة اكياب بعضها من القش وبعضها من الطين واقعة في طرفها وامامها
النساء يطبخن العشاء على كوانين متركبة من ثلاثة احجار كبيرة كما هي العادة عند سكان
البادية بالشمال الافريقي . وقد عرضتنا هذه المرة عدة احمره تحمل التراب في اشياء هي

أشبه شيء بنزيل الحلقة المستعمل عندنا لجر التراب . واحواز البلدة كله عبارة عن بساين جميلة متنوعة اشكالها طالما رايت فيها الناس يحرقون بالمحراث العربي المستعمل عندنا يحرقه بغل أو حصان أو اثنان من نوع البقر .

وهكذا تبادت العربة في سيرها وأنا لم أعد ابصر شيئاً مما حولي لمغيب الشمس وبعد ان اجتزنا بلدة (اوتريرا) ثم بلدة (كالا) ولعلها (القلعة) أيضاً وصلنا الى محط رحالنا مدينة (اشبيلية)

مدينة اشبيلية

هي مدينة تحتوي اليوم على (٢٠٥٥٢٩) من السكان واقعة في بساط عظيم على ضفة الواد الكبير اليسرى الذي يمر بوسطها ويفصلها على ربض (تريانه) وللوصول من المدينة الى الربض يجب قطع قطرة عظيمة اطلق عليها اسم «قطرة ايزابيلا الثانية» وسياتي الكلام عليها .

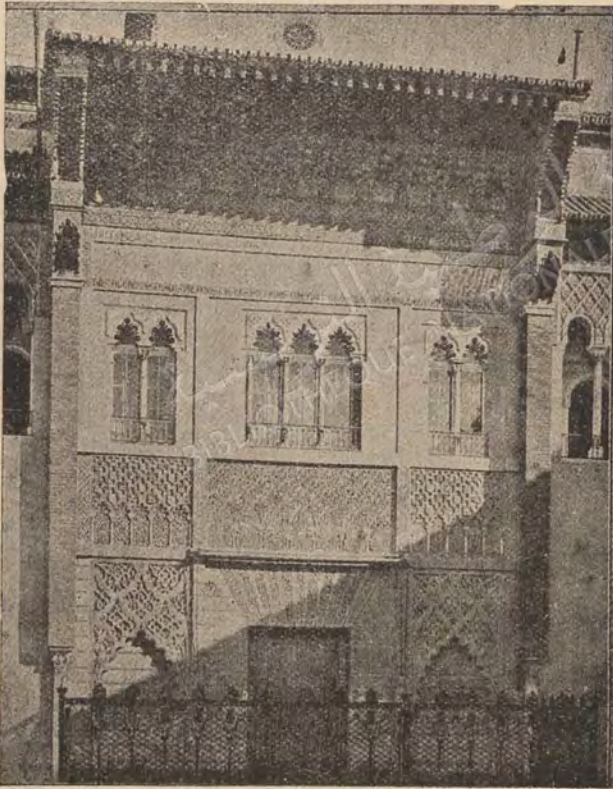
واشبيلية واقعة على ارتفاع اربعة عشر ميترًا على سطح البحر وحرارتها الاعتيادية ٣٥ درجة وتصل في بعض الاحيان الى خمسة واربعين . وأحسن وقت لزيارتها والمقام فيها شهرا افريل ومايه حيث تكون سهاؤها صافية وهواؤها معتدلاً .

وبما ان اهم ما فيها من الاثار العربية هو قصر بني عباد فقد وجب علي ان أبدا به وها انا اخيل قراعي امامي وانا اعيد عليهم ما رأيته

(قصر بني عباد)

يدخل اليه من باب كبير بعده ساحة كبرى تحتوي على كثير من شجر البرتقال والطريق المؤدي الى القصر على يمين تلك الاشجار ويقابل هذا الباب باب آخر عليه قشرة من الحديد وامامه ساريتان قصيرتان اذا نحن اجتزنا وجدنا انفسنا في مشى كله سوارى كل ساريتين مع بعضهما وعددها ستة عشر ساريه مزدوجة من كل جهة . أما أرض هذه المشى فهي من حجر الوديان الاملس الموضوع والمصق بحكمة وبذوق . فاذا نحن اتينا من هذا المشى الطويل ووصلنا الى آخره وجدنا طريقاً آخر طويلاً

أيضاً يتصل آخره بساحة كبيرة ارضها من التراب الاحمر وفيها على يسار الداخل الباب الاولى لقصر بني عباد امامه حاجز حديدي . وهذا الباب مربع على جانبيه نقوش على هيئة رقم الثمانية من ارقامنا وفي اعلى الباب نافذتان كلتاهما ذات قوسين يجتمعان في الوسط على سارية رقيقة وعلى جانب الكل برطالان بديعان وفوقهما كتابة بالخط الكوفي هي «الملك لله» مكرره

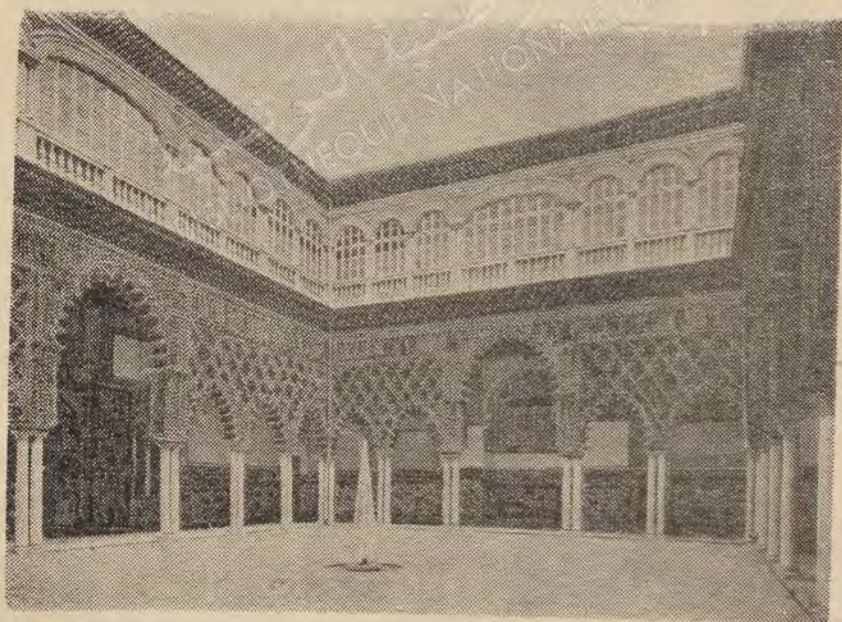


منظر الباب الاصلي لقصر اشبيلية

اما الباب نفسه فهو ضخيم يحتوي على تزويق يسحر الالباب يدخل منه الى السقيفة وهي مستطيلة جميع جدرانها مزودة بتلك الكتابة الكوفية نفسها في اسفلها نوع من الفسيفساء وفي أعلاها جبس منقوش نقشا عجيبا . وسقفها من الخشب المزوق . وفي هذه

السقيفة مربع من المرمر سقفه من اللوح المنقوش وجدرانه من الجبس المزوق. وهاته الساحة كائنة بين نافذة جميلة تطل على الساحة الكبرى ذات قاعة من التراب الاحمر الذي مر ذكره وبين باب موصل بواسطة ممشى صغير سقفه غير مرتفع الى باب آخر يطل على صحن القصر الحقيقي وعليه كتابة بالخط الجميل هي « البركة الكاملة . النعمة الشاملة » وبعض كتابات اخرى

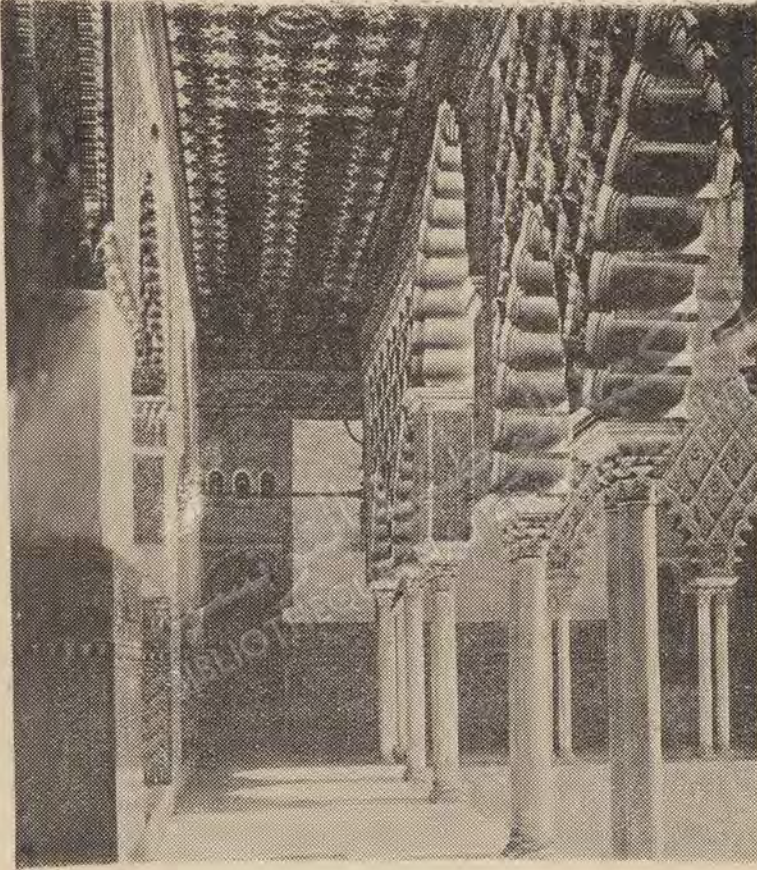
ووصات اخيراً الى صحن القصر. وتلك أول نظرة وقعت مني على ما خلفه أجدادنا العرب في البلاد الاندلسية. وليس في استطاعتي ان ابين الدهشة التي اترتني في ذلك السكون الهائل وفي ذلك الصمت العميق. ولا في وسعي ان اجعل قرائي يشعرون كما شعرت به في تلك اللحظة من الهيبة والجلال.



صحن قصر بني عباد باشبيناية

صحن مستطيل يحيط به (برطال) متصل ببعضه او بعبارة اخرى اربعة براطيل متصلة ببعضها امام كل جدار من جدرانه الاربعة برطال. وفي الزاوية التي يجتمع فيها

برطالان اقيمت سارية كبرى هي عبارة عن ثلاث سواري رقيقة مقرونة وبين كل زاويتين من جهة الطول ستة سراري ومن جهة العرض اربعة وجميع هذه السواري التي بين الزوايا مزدوجة اي ان كل سارية متركبة من ساريتين صغيرتين. اما سقف هذا



نظر احدى (البراطل) المحيطة بصحن قصر بني عباد باشيليتر

البرطال كله فهو من الخشب الرفيع المسطر والمنزوق تزويقاً عجيباً. وفي الصحن ثلاثة أبواب أحدها على الواجهة التي تقابل الداخل اليه وبابان آخران احدهما على يمينه والثاني على يساره. أما الواجهة الرابعة فهي خالية من الابواب ولكن فيها ثلاثة مجالس على هيئة المحراب هي آية في الجمال تدخل في الجدار نحو ميترو وخمسين صانثيمتر

داخلها -- ولا سيما اقواسها -- كله نقش وتزويق ليس لي الا ان أقول بانه آية للسائلين .
وقد جلست ما يقرب من نصف ساعة في المجلس الاوسط وأنا شاخص انظر الى ما
هو امامي من المنظر العمومي الى تلك السواري وتلك الابواب وتلك النقوش المختلفة
انواعها واشكالها . وقد طار بي الخيال الى ايام الاندلس الزاهرة . وتذكرت من كان
يسكن هذا القصر العظيم وتذكرت نساء بني عباد وهن يتراوحن في وسط هذا الصحن
وتشخصتهن جالسات في هذه المجالس الانيقة يتقاسمن الخواتم الذهبية التي أهداها لهن
صاحب العرش والصولجان ...

قضيت نصف ساعة في ذلك المكان وغادرته -- وبودي اني لا اغادره -- لارى ما
خبأته الاقدار الى عيني في داخل تلك البيوت وتقدمت بخطى ثقيلة إلى البيت الذي
كان قريباً مني اي البيت الذي يكون على يسار الداخل وهو بيت مستطيل على بابه ثلاثة
أبيات من الشعر لم أتوصل لقراءتها كلها وهذا كل ما استطعت قراءته



منظر احدى الطبقان العليا بقصر اشبيلية

يا ايها المجلس الجديد الطالع السعيد
لا زلت للدهر جنة مثنوى حتى عاد عيد
..... ومات غيضاً لك الحسود

والنقط في مواضع الكلمات التي اعتبرها الفساد فلم تعد ظاهرة لمن يريد قراءتها.
ومن هذا البيت يدخل إلى بيت آخر صغير مربع أهم ما فيه (زيادة عن النقوش)
نافذة من حديد في نصفها الاعلى مربع به كلمة «هو» وفي نصفها الاسفل كلمة «الله»
والكلمتان مركبتان من قضبان الحديد التي صنعت منها النافذة نفسها مما يدل على انها
باقية كما خلفها العرب تماماً. وفي هذا البيت باب صغير يطل على صحن القصر وامامه
من الواجهة الاخرى باب آخر يدخل منه إلى بيت آخر فيه نافذة طويلة تظهر منها
أشجار البستان التابع للقصر والذي سيأتي الكلام عليه. فاذا تمادينا في طريقنا المستقيم
دخلنا إلى بيت جديد فيه نافذة حديدية عليها كلمتا «هو - الله» مثل سابقتها. واذا
نحن عرجنا إلى اليمين وجدنا أنفسنا في ممشى جميل يصل بنا إلى البيت الذي رآه
الداخل إلى صحن القصر أمامه وهي أئمن وأحسن وأبدع ما في قصر بني عباد واسمها
«بيت السفراء» او «قاعة السفراء»

قاعة السفراء بقصر بني عباد

هو بيت مربع مدخله الاصيلي من الصحن وهو مقوس كله نقوش. يدخل الانسان
فيجد أمامه ثلاثة أقواس على ساريتين رقيقتين من الطف ما يكون. وكذلك ثلاثة
أقواس على يمينه وثلاثة اخرى شلها على يساره. أما الجدران فهي رغم ارتفاعها لا يظهر
منها شيء وذلك لانها كلها نقوش يقف الانسان أمامها حائراً مبهوراً لاسمها وعلى تلك
النقوش طلاء من الذهب الذي لا يزال غالبه إلى اليوم.

وجدران بيت السفراء مزوقة على الترتيب الاتي

من الاسفل جليز صغير متنوع وفوقه جبس من عمل اليد منقوش إلى ارتفاع نحو
سبعة أمتار أي إلى أن يصل (الطاسة) التي تركز عليها القبة الخشبية البديعة التي هي

السقف وأركانها من المقربس المتصل بعضه ببعض الى ان يجعل من نفسه دائرة كاملة وتلك الطاسة من عمل (تنجرت) كما يسمى ذلك المغاربة الذين لا يزال هذا الفن منتشرأ عندهم ونوع تزويقها (معشر) و (ثناشري) في آن واحد وهو اعجب شيء في هذه الصناعة ولو انني واثق من ان غالب القراء لا يتوصلون الى ادراك تلك الاصلاحات الفنية.



دار
الكتاب
العلمي
البحري

داعة السفراء في قصر بني عباد باشبيليه

وهناك في الجدران عدة اسطر دائرة بالجهات الاربع منها (الغبطة المتصلة) طولاً وعرضاً وارتفاعاً مع الجدران وحتى مع الاقواس. وأسفل ذلك « الملك لله » وتحتها كتابة اخرى بالخط الرقيق هي هذه « يا ثقتي يا أملي * أنت الرجا أنت الولي * أختم بخير عملي » مكررة مرات عديدة.

ولقد زاد تلك القاعة بهاء وجمالاً تلك الشرفات البارزة من الجدران والتي هي من أبداع وأجل وأرق ما يكون يتدلى من كل واحد منها قنديل صغير. أما المسافة الموجودة بين الواحد والاخر فقد جعلتها النقوش الموجودة في الجدران في أشكال اطارات لطيفة اغتنتها الاسبان بعد استيلائهم على القصر وأخذوا يضعون في كل واحد منها (أي من تلك الاطارات) صورة من صور ملوكهم من أولهم إلى نهاية الملك فيليب الثالث.

ويقابل مدخل قاعة السفراء باب آخر حديدي يطل على بستان صغير زاد وجوده هذه القاعة جمالاً على جمالها وجلالاً على جلالها.

ويجد الداخل لقاعة السفراء من بابها المطل على صحن القصر بيتاً يدخل اليه من الاقواس الثلاثة التي مرت علينا فيجد ساحة مربعة بها اربعة براطيل مقامة على سواري رقيقة من الرخام وفي كل جهة من جهاتها باب يطل على بيت آخر وقد جعلوا هذا القسم معرضاً إلى الصور الزيتية اليدوية وقد وجدت بها كل ما يلزم لتلك الصناعة الفنية مع عدة مناظر معروضة ولم يكن معها أحد من الناس.

ومن هذا القسم يدخل إلى بيت كبير أعرب ما فيه سقفه الجميل وأقواسه البديعة مع ذلك التزييق العجيب الظاهر في جدرانه. وبركته الايمن تزويق يطلق عليه في الاصطلاح الفني (مثنى على معشر) وهو صعب جداً. وبالجدران دوائر في وسط تلك التزاويق مكتوب عليها « الملك لله » بالخط الكوفي وفي أعلاها وأسفلها سطران من الخط الثلثي الرقيق. وهذا البيت يطلق عليه بيت الاحكام.

ولم يبق الان إلا أن أدخل بقراءى الى البيت الباقي وهو البيت الذي يدخل

اليه من الباب الواقع علي يمين الداخل الى صحن القصر وهو مستطيل يظهر من شكله انه بيت النوم في وسطه ثلاثة اقواس على ساريتين من جهة الطول يدخل منها الانسان الى بيت النعاس وهي أكبر قيمة من الاولى ولا سيما ركنها الايمن فهو منقوش نقشاً ثميناً



الصحن المخصص بالصورة الزينية بقصر اشبيلية

لا فرق بين سقفه وجدرانه. وعلى تلك الاقواس التي تقسم البيت الى قسمين كتابة

«عز لمولانا السلطان» مكررة وهناك فيه نافذتان تطلان على الصحن والعجب كل العجب في بابيها وما فيها من النقوش.

وإذا نحن خرجنا من هذا البيت نكون قد انتهينا من التفرج على مفخرة اجدادنا في اشبيلية. وإذا نحن زدنا على ذلك بان هذا القصر قد انتابته عدة نوائب بعضها بيد الاسبان انفسهم وبعضها من جراء الحريق الذي وقع فيه (ولعله كان عمداً) نكون قد اثبتنا ان الحالة التي هو عليها الان ما هي في الحقيقة إلا شيء ضئيل بالنسبة لما كان عليه في عصر شبابه.

وعند الخروج من القصر وتجاوز الساحة الحمراء التي بها بابها الاصلي والدخول في المشى الاول يحذر بالانسان ان يعرج على اول باب يعترضه على يساره وعليه رقم ٣ فقد حوى هذا البيت بعض آثار عربية من المنزلة الثانوية عثروا عليها في القصر او في ضواحيه وأوها غير مناسبة لقيمة القصر ذاته فحفظوها في هذا المحل وهي عبارة عن لال وغيرها وعن قطع منقوشة من الابواب المكسرة علقوها على الجدران.

اما وقد انتهينا الان من الاطلاع على القصر فقد بقي علينا الاطلاع على (رياض السلطان) أو البستان التابع لذلك القصر. والوصول اليه من نفس الطريق لموصلة الى القصر نفسه.

فاذا نحن غادرنا البيت رقم ٣ ودخلنا طريق رجوعنا لا ينبغي لنا ان نعرج على اليسار للدخول الى المشى الذي دخلنا منه اولاً بل يجب علينا ان نتمادى في ذلك الطريق الى الامام فذلك المشى هو الموصل الى الرياض. وهو طويل سقفه غير مرتفع وارضه لا اهمية لها ينتهي الى باب حديدي بعده على اليمين بيت الحارس الذي يتفقد تذكرة دخولك للبستان ويبيع لك (ان اردت) ما تحتاجه من مناظر القصر والرياض. فاذا انت تخلصت منه وجدت امامك جاية محاطة بسياج من حديد في وسطها (خصة) عليها صورة رجل من الحديد واقف وعدة انابيب تصب الماء من تحته. وعلى جانبها جدار هو الوحيد في بابها - على ما اظن - تزويقه من أبسط

واعجب ما يكون. فلقد جعله العرب مزدانا بعدة اشكال جميلة هندسية مركبة من حجارة في شكل وهياة النشاف. وفي هذا الجدار عين ينبع منها الماء دواماً ويصب في حوض صغير عليه مشرب من النحاس مشدود بسلسلة يشرب منها كل من أحس بالعطش

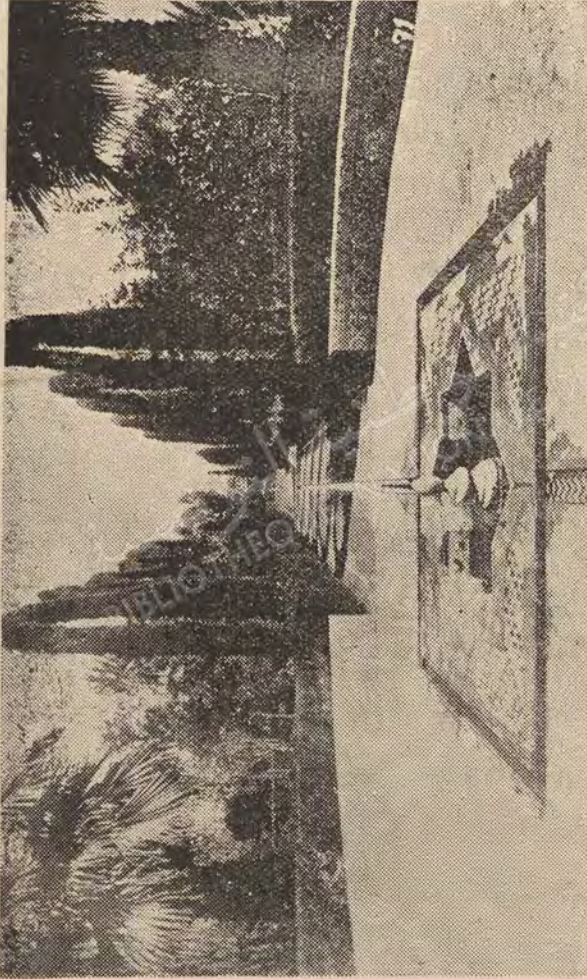
وبجانب الحاية الاخر درج الى البستان تودى الى ساحة اخرى بوسطها خصة صغيرة وعلى يمين الداخل اليها حمام الملك

❦ حمام الملك ❦

بابه من الحديد يدخل منه الى تمشي طويل. الضوء فيه قليل جدا لا سيما في اوله . يشعر الداخل اليه برهبة لا ابالغ اذا قلت انها تشني عزم داخله اذا كان ضعيف الجاش . وفي المشى بابان مقفلان يقال انهما بابا سجنين كل واحد منهما في جهة . وينتهي المشى الى حوض ماء طويل جدا على يمينه ويساره مدخلان يدخل الانسان من احدها ويخرج من الاخر وهذا المسرب الصغير ضيق جدا لا يسع اكثر من رجل واحد متوسط الحجم . يصعد اليه بثلاث درجات وفي سقفه نوافذ يظهر منها السماء جعلت لدخول الضوء والهواء . وفي آخر الحوض من الداخل حجرة كبيرة على شكل جبل صناعي ينحدر منه الماء الى الحوض . وهذه الحجرة -- او هذا الجبل الصغير -- كائنة بين باين من الحديد مقفلين ايضا لا يظهر ما بعدها لشدة الظلام رغما عن كوني اشعلت الكبريت .

واذما نحن الان بلغنا نهاية هذا الحمام -- وقد قدمناه لقصر الكلام عليه -- فلنخرج بعمل جولة في البستان الذي هو عبارة على جنة في الارض لا تقع العين فيه الا على ما ترتاح اليه. ولا ينكر الانسان اذا وضع فيه رجله على شيء سواه. فهناك اقواس كبيرة يخالها القادم انها من الحجر الكبير حتى اذا اقترب منها وجدها من اغصان اشجار خصوصية جعلوها على تلك الصور الجميلة . وهناك اشجار نخيل قصيرة القامة لا زالت محافظة على ثمراتها التي هي لا تزيد في حجمها على حبة الحمص . وهناك اشجار البرتقال

.. وما اكثر هذه الاشجار في الاندلس . - تاخذ بمجامع القلوب وهي حاملة اثمارها الذهبية .



منظر من البستان الملكي التابع لقصر بني عبد باشيبيتر

ثم هاهو يعترضنا في طريقنا مكان متسع لا يحتوي الا على محابس بها شجيرات الازهار على اختلاف اجناسها واشكالها . فلنغادر هذا المكان من ذلك الباب الصغير والمدخل الضيق المرتفع ولندخل الى تلك الساحة الاخرى التي تحتوي على (قترينات)

بها كثير من المحابس الصغيرة المعدة لتربية انواع من الزهور . ولها ابواب بلورية
تشد للجدار عند اعتدال الهواء وتغلق بها عند اشتداد البرد وفي الليل حفظا لتلك الانواع
من الزهور التي يظهر ان الاعتناء بها يجب ان يكون شديدا . واذا نحن خرجنا من
هذه الساحة دخلنا في اخرى يكثر فيها النخيل وبه جانب وافر من المحابس المنقوش
عليها كلمة (القصر) بالاحرف اللاتينية . وفي وسط هذا البستان جاية تتوسطها قبة من
الحجر المائي (على شكل النشاف) في داخلها امرأتان ظهر احدهما ملاصق لظهر
الاخرى وهما تقذفان من ثدييهما الماء الوارد للجاية . وهو منظر جعلني اقف نحو
الثلاثين دقيقة انظر اليه بدون ملل . وفي هذا القسم ايضا جاية اخرى مرتفعة يصعد
اليها بواسطة اربع درجات وعلى احدى جهاتها بيت به كرسي رخامية لا تسع اكثر من
عشرة انفار وفي وسط هذا البيت خصة صغيرة ذات ثمان جهات . واما الجاية فياتها
الماء من ثلاث جعبات لها اتصال بحوض مرتفع عنها يعلوه اسد يصب اليه الماء من فمه
باستمرار . وفي هذه الجهة من البستان كثير من شجر البرتقال الجميل . وقد رايت في
عنق شجرة منها ورقة مكتوبا عليها ان عمرها ستمائة عاما . والغريب انها لا تزال تثمر .
وقد رايت ثمرها في اغصانها . والشيوخوخة تكاد تكون ملموسة على هذه الشجرة العتيقة
ويظهر ذلك من اصلها (القعموره) الضخمة التي لا ينبت عليها الا اغصان قليلة هي
التي تدل على حياتها . واصلها يكاد يكون خاليا من القشر . مما يدل على ان
السواحين ياخذون بعض الشيء منها على سبيل البركة او على سبيل التذكار . وقد
حاولت ان اجاريهم ولكنني لم استطع ان اقتلع شيئا منها حيث ان الذين سبقوني قد
اخذوا كل ما امكنهم نزعها منها .

وبالقرب من هذه الشجرة بيت جميل به ستة مقاعد مرمرية كل مقعد منها على
جانبين نافذة تطل إلى جهة من جهاته . وتتوسطه خصة صغيرة تحيط بها صور من
الفسيفساء تمثل بعض الحيوانات . جدرانها جميلة وسقفه أجمل . وامام هذا البيت قسم
من البستان محاط باقواس مرتفعة كلها من اغصان الاشجار العليقية وفي وسطه كتابة

بارزة من الشجر المذكور ايضا. وهنا بينا كنت انظر الى خصبة ذات اربع سمكات يخرج الماء من افواهها الى الحوض تقدمت الي ثلاث فتيات اعتقد أنهن كن لا يشعرن بوجودي لولا طربوشي الذي جراهن على التقدم نحوي للاستهزاء بي او لتمضية الوقت مع هذا العربي الذي لم يخجل من وضع طربوشه في بلاد النصارى

لم افهم من كلامهن شيئا طبعاً. وطبعاً لم يفهمن من كلامي شيئا ولو انني عرفت منهن الاخلاق الفاضلة والتربية العالية ولم يزدن عن كونهن طلبن مني ان اصورهن بمصورتي وعلى رأس إحداهن طربوشي ففعلت وسلمن لي ورقة كتبها احداهن بالقلم الرصاص فيها اسمائهن والعنوان الذي يمكنني ان ارسل لمن الصورة به. وها هي الاسماء ليطلع القراء منها على بعض اسماء وعائلات الاندلس في الوقت الحاضر (يزايل ويشه - كارميل اورتيجا - مرسيفيس اورتيجا)

وبعد ان قضيت حصة طويلة اتجول في اقسام هذا النصف من كامل البستان اخذت طريقي للخروج منه بقصد الذهاب الى نصفه الثاني ومدخله هو الذي تركته على يساري عند ما دخلت الى البستان من بابه الاول اي بعد التخلص من متفقد تذاكر الدخول.

ولم اكد اتجاوز هذا الباب حتى اعترضتني على يميني جاية ياتها الماء من كلب حجري في آخرها واقف على رجله الامامين والماء متدفق من حجرة موضوعة على بطنه. غادرت هذا المكان وبعد قليل وجدت على يساري مجلسا صيقا هو عبارة عن دائرة مرتفعة يصعد اليها بثلاث درجات تحيط بها تسع سواري بين كل ساريتين ميتران تقريبا وخلف هذه السواري التسعة سواري اخرى محيطة بها وبين الدائرتين مشى عرضه ميتران سقفه من اعواد اللوح لتمكن منها اغصان العليق فتجعل من نفسها سقفا يقي الناس حر الشمس في زمن المصيف

خذ احد جانبي هذا المجلس الجميل (ايهما اردت) وانزل معه تصل الى حوض صغير عليه حيوان منكب عليه والماء يتقاطر من فمه ويسقط في الحوض.

فإذا انت جعلته وراك ونظرت الى الامام رايت منظرا من ابداع ما يكون وهو
ممشى طويل على جانبيه اقواس الفصيله في ارتفاع ستة اوسبعة امتار وفي هذا المشى
تعترضك اولا دائرة ذات اربع فتحات في وسطها حوض ذو ثمانية مثلثات وفي الوسط
خصة صغيرة . ثم دائرة اخرى يتفرع من جانبيها طريقان صغيران احدهما على يمين
الماشي والاخر على يساره . بحيث تكون هي في ملتقى اربع طرقات جميلة . ثم - اذا
نحن تمادينا في طريقنا - نجد جاية كبرى محاطة بسياج من الحديد وفي وسطها خصه
مرتفعة تتوسطها انبوبة يخرج منها الماء اليها ثم ينحدر الى الحوض بواسطة اربع انبوبات .
وبمادينا تعترضنا دائرة اخرى في وسطها حوض ذو ثمان جهات اربعة منها هلالية
باستدارة واربعه بتشويك وتتوسطها خصه مرتفعة ايضا . واخيرا ينتهى المشى فنجد في
منتهاه كرسيا من الرخام يمكنك ان ترتاح عليه وترجع ببصرك الى هذا المشى الذي
كنت تسير معه وان تمتع ناظريك بما على جانبيه من الاشجار المختلفة والدوائر العجيبة
من الفصيلة المقصودة على عدة اشكال كلها في منتهى الحسن والجمال .

ويمكن لقراي ان يتصوروا جمال هذا الطريق وقيمته الفنية اذا انا قلت لهم بان
في كل جهة من جهتيه اربعة وعشرين قوسا من الاقواس المجعلولة من اغصان الاشجار
العليقية تختلف بعض الاختلاف في اشكالها وفي علوها . فاذا نحن جلسنا على الكرسي
الرخامي الذي انتهى بنا المشى اليه راينا ثمانية واربعين قوسا في شكلها المنظم وفي لونها
الاخضر العجيب .

وقد اخترنا ان نتحدث الى القراء عن هذا المشى لانه الطريق الرئيسي في هذا
النصف الثاني من البستان وكل الطرق الاخرى تتفرع اما عنه او عن فروعه الكثيرة .
ولنخرج الان من هذا الرياض اذا نحن استطعنا الاعتراف باننا قد اشبعنا منه
عيوننا . ولكن الى اين نذهب . وماذا عسانا نؤمل ان نرى بعد ما شاهدناه في القصر
من الزخرفة والنقوش والرقعة وفي البستان من الزهور والاشجار الرقيقة والهندسة وما شعرنا
به فيه من معنى جمال الخلوة تحت ظل الاغصان ومعنى اسرار الطبيعة . فالى اين نذهب .

هنا يتمنى الانسان ان ياخذ حقيقته ويرجع الى بلاده يحدث الناس عما رآه
مكتفيا بما حصل عليه ولكنه لا يلبث ان يرجع الى نفسه ويتذكر ان في اشبيلية
جامعا عربيا وصومعة عربية لا يبعد ان تكون في تلك اللحظة من تفكيره تلوح اليه
قائمة في الفضاء ورأسها في السماء اخرى وهي لا تبعد على مدخل القصر الا بنحو
الخمسين ميترًا .



منظرءاخرللبيستان الشابع لقصر اشبيلية

اذن فلنخرج من القصر ورياضه ولنذهب الى الجامع وصومعته . ولكن قبل ذلك
اليس من الاحسن ان يكون خروجنا من القصر للجامع من الباب الخصوصي الذي
كان يخرج منه ملوك بني عباد للحضور في صلاة الجمعة .
كان بودنا ان يكون ذلك الباب وذلك الطريق باب خروجنا من القصر وطريق
وصولنا الى الجامع . ولكن واسفاه . لقد اصبح اليوم ذلك الباب موصودا وامامه
من الخارج ساريتان عظيمتان مشدودتان بسلسله .
فلنخرج اذن من الباب الذي استعملناه لدخولنا .

ها نحن تقطع تلك المسافة في اقل من دقيقة . وها نحن امام باب الجامع .
فلندخل . ولكن هاهي الصومعة تلفت انظارنا الى جمالها ومحاسنها وتغرينا بزيارتها
والصعود اليها . وهاهي امواج الخلائق الصاعدة اليها تنبها الى انها من الالهية بمكان
وتحبب الينا ان تقدمها على الجامع . فلنصعد :

صومعة اشيلية

صومعة بديعة . وهي ثلاثة ثلاثة من نوعها في الدنيا اذا نحن اضفنا اليها صومعة
الكتيبة براكش الحمراء وصومعة حسان برباط الفتح . وقد كتب لي ان اصل اليهما
ايضا في طريقي الى الاندلس .

وقع اتمام صومعة اشيلية في اواخر القرن الثاني عشر ميلادي . قاعدتها مربعة لها
من كل جهة ثلاثة عشر ميترًا وستون صائتها . وجدرانها تمثل القوة . فان عرضها يساوي
ميترين ونصفًا مزدانة بنوافذ جميلة تتخللها بعض نقوش وبعض اسطر من الكتابة العربية
البارزة المجهولة من نوع يشبه (الياجور)

دخلت من بابها الصغير فاذا هي من غير درج وانما يصعد اليها بواسطة طريق
منبسطة كلما دارت ارتفعت قليلا بحيث يخيل للصاعد اليها انه يمشي في طريق مائلة
قليلا الى الارتفاع وهكذا يزيد ارتفاع ممشى الصومعة في كل مرة يدور فيها حول نفسه
بدون ان يشعر الصاعد الى ان يصل لعلو سبعين ميترًا اين يجب على كل عربي ان
يقف موقف الاعتبار والاسف . وان يركي على اجداده وعلى تلك الامور التي آلت
بملكهم للخراب وكانت سببا في تقلص ظل الاسلام من تلك الديار .

ففي ذلك المكان من الصومعة كان يقف المؤذن خمس مرات في كل يوم ينادي
المسلمين الى الصلاة . وفي ذلك المكان كان المسلمون يسمعون « الله اكبر » خمس
مرات في كل يوم .

نعم . فان ذلك المكان هو الموضع الذي كان يقف فيه المؤذن ايام المسلمين بعمته
اليضاء وقلبه النقي وصوته العربي المبين .

اما اليوم فان ذلك الموضع قد اصبحت مكانا للنواقيس العديدة التي احتلتها احتلالا دينيا فاغرقت ذلك الصوت البشري اللطيف في وسط ضجيجها الذي لا يطاق .

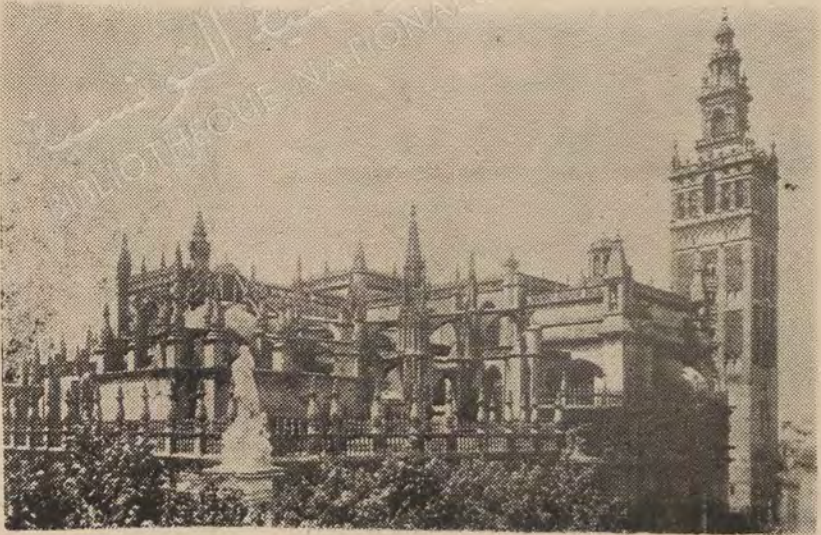


منظر عام لصومعة اشبيلية

وقد وقع الشروع في وضع تلك الاجراس عام ١٣٩٥ حيث عمروا ذلك المكان بالنواقيس الاعتيادية التي لم يلبثوا ان ابدلوها عام ١٥٦٨ بالنواقيس الضخمة الموجودة الان . وهي موزعة بصفة تمكن الناظر اليها من تقسيمها الى خمسة طيقتان الطاق الاسفل منها يحتوي على اربعة وعشرين جرسا الكبير فيها اسمه (سانطا ماريه) ويرجع

تاريخه الى عام ١٥٨٨ . والطاق الاعلى لا يحتوي الا على جرس الساعة الكبرى الذي وضعوه عام ١٧٦٤ .

وقد اطلقوا على هذا الطاق الاعلى اسم (الجيرالده) الماخوذة من الفعل الاسباني (جيرار) اي (دار حول نفسه) وذلك بناء على كونهم وضعوا فيه تمثالا من البرنز ارتفاعه اربعة امتار ووزنه ١٢٨٨ كيلو غرام يحمل في يده راية ويدور حول نفسه حتى اذا لمست النسمات الخفيفة . وبهايته يبلغ ارتفاع الصومعة الى سبعة وتسعين مترا واثنين وخمسين صانتيما . وقد اشتهر اسم هذا التمثال او هذه الدوارة الهوائية بصورة اصبحت معها الصومعة كلها تسمى باسمه . فاذا اطلق اليوم اسم (الجيرالده) انطبق على الصومعة وكان اسما لها



منظر عام للصومعة العربية والكنيسة

ولنرجع الان الى صومعتنا العربية . فقد نسيت ان اقول لكم بان الطريق المجهول للصعود اليها طريق واسعة جدا بحيث يمكن لفارسين ان يصعداها على فرسيهما جنباً الى جنب . ونسيت ان اقول لكم بان الاسبان لم يزدوا في هذا الطريق شيئاً بل هو كما

خلفه اجدادنا منذ قرون لم تؤثر فيه اقدام مئات الملايين من المتفرجين الذين يصعدون اليها لغايات مختلفات. ونسيت ايضا ان لاحظ لكم ان هناك منظراً يترقب الصاعد الى اعلا الصومعة فيجعله يفرح لا بهاج المدينة التي يراها بتمامها في احدى حلة ويحزن لرؤية سقف الجامع الذي اصبح ولا رائحة شبه فيه الى امثاله ولرؤية صحن الجامع الحقيقي الذي لا زال على حالته الاصلية كما سيناتي عليه الكلام.

وهيئات ان ينزل منها العربي بدون ان يستولى عليه القلق رغماً عما يشاهده وهو في موقف المؤذن من المناظر الجميلة التي تاخذ بمجامع القلوب. ولكن اين تلك اللذة الزائلة التي لا تدخل للعين الا لتخرج منها من تلك النبال القاتله التي تصيب القلب ولا تبارحه ما دام في القلب عرق ينبض ويحس.

اما الصعود الى (الجيرالده) فهو حر لكل من اراد الصعود اليها بعد ان يدفع خمسة وعشرين صانتيما ولكن لا يجوز ان يصعد اليها الانسان وحده ويرفض الحارس تمكينه من اجتياز الباب اذا لم يكن معه صاحب واحد على الاقل. ولذلك فان هناك امام الباب انفارا عديدين جعلوا انفسهم تحت طلب من لا صاحب له يصعدون معه في مقابل اجر طفيف.

وهم انما يحتاجون لذلك بناء على طول ارتفاع الصومعة وخوفاً من ان يعتري الصاعد اليها دوار بفقده شعوره ويتحدثون ان الذي دعاهم لهذه الاحتياطات حادث وقع عام ١٩٢٧ وهو ان فتاة صعدت الى الصومعة منفردة فاعتراها الدوار وفقدت توازنها فسقطت على الارض وصادف ان كان سقوطها على فتاة صغيرة كانت بجانب ابويها فماتتا معاً.

وبما اننا الان انتهينا من الاطلاع على الصومعة وما فيها فلينزل معي قراي للتفرج على الجامع الاعظم او - بعبارة اخرى - على الكنيسة التي اقيمت على اطلاله بعد ان هدمه الاسبان انصياعاً لصوت تعصبهم الديني في ذلك الزمان.

ورغماً عن وجود باب مجاور لباب الصعود الى الصومعة فاني أنصح الذين تقدر لهم

زيارة الاندلس من المطلاعين على كتابي ان لا يدخلوا منه للكنيسة للمرة الاولى وبودي ان يدخلوها من الباب الوحيد الذي ابقاه الاسبان من ابواب الجامع العربي وهو باب يفتح إلى الصحن الذي لا زال على حالته الاولى ايضاً وفي وسطه الحوض الذي كان يجعلون الماء يفيض ماء إلى يومنا هذا.

فلنغادر الصومعة إذاً ولنقصّد ذلك الباب العربي الذي أطلقوا عليه اسم « باب البردون » لندخل منه الى الصحن العربي ثم ندخل منه إلى الكنيسة لنشاهد ما فيها.



باب الصحن العربى نجامع اشبيلية (باب البردون)

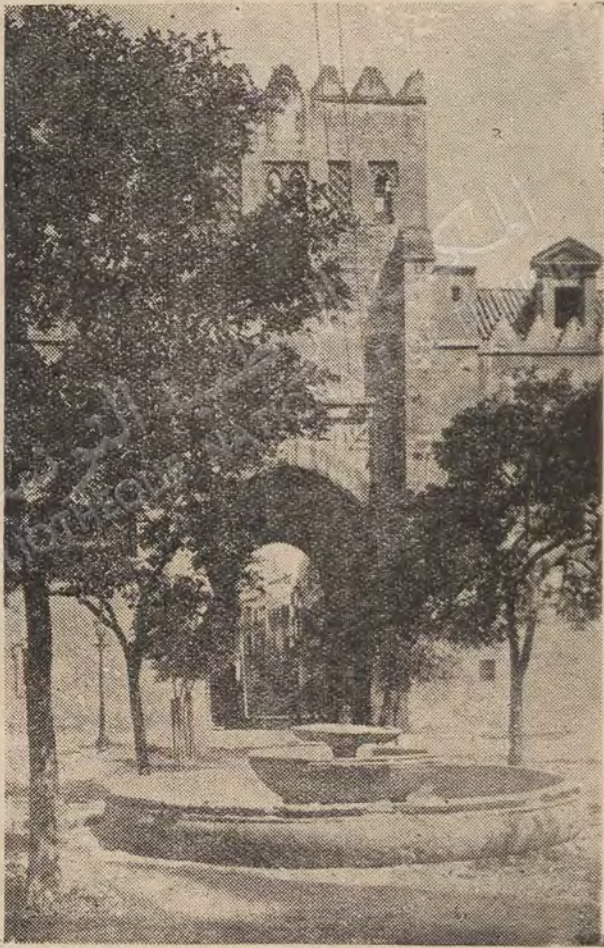
ها نحن امام باب « البردون » الذي هو عبارة على قوس مرتفع جدا مزدان بالنقوش الرفيعة كان صعباً على الاسبان ان يتركوه كما خلفه العرب تماماً وان تقع اعينهم عليه وهو على حالته الاصلية . ولذلك فقد اضافوا اليه عدة تماثيل وضعوها فوقه وعلى جانبيه فافسدوا بها منظره الذي اصبح لا هو عربي بحت ولا هو نصراني بحت . اما دفنا الباب فهما من الحشب الرفيع النقوش بمستطيلات عديدة بعضها من اليمين الى اليسار وبعضها من الاعلى الى الاسفل وفي كل بيت مستطيل مكتوب « الملك لله » مكررة مرتين ويحيط بالكل سطر على طول الدفتين وعرضهما هو عبارة عن كتابات بالخط العربي الرقيق لم اتوصل لقراءتها بعد ما يلوح لي منها

اما القسم السفلي من مصراعي الباب فقد حجبوها بحاجز من الحديد مشبك حفظا له من ايدي السواحين

ولنصعد الان تلك الدرجات القليلة ولندخل الى صحن الجامع العربي الذي تداركته الطاف الله واثقذته من مخالب الاسبان المتعصبين في ذلك الزمن المنحوس الذين جن جنونهم بمجرد استيلائهم على المدينة وافتكاكها من ايدي العرب . ليس في هذا الصحن ما يلفت الانظار كثيرا ولعل اهم ما فيه ذلك الحوض الكبير الذي كان معدا للوضوء ايام المسلمين والذي هو في وسط الصحن كما هي العادة الى الان في غالب جوامع المغرب الاقصى . والحوض واسع جدا تعلوه فوارة مرتفعة يتدفق الماء منها اليه وبجانبه جعبة طويلة من النحاس يستعملها من اراد ان يشرب او ان يملا جرتة وذلك بان يضع طرف الجعبة في اعلا الفوارة وطرفها الاخرى في الجرة او في فمه .

وقد اطلق اليوم على الصحن اسم (صحن البرتقال) نظرا لوجود عدد وافر من تلك الاشجار في وسطه . وفي هذا الصحن يكثر المطوفون الذين يتسابقون الى كل داخل اليه لاسيما اذا احسوا بانه من السواحين او حتى من الاسبان الغرباء عن اشبيله ليعرضوا عليه انفسهم ويعرضوا عليه اللغات التي يحسنونها وقد حاولت ان اجد من بينهم واحد يحسن اللغة العربية ولكنني كنت احاول المستحيل وعذرتهم عند ما اعلموني

- باللسان الفرنسي - باني انا الرجل الوحيد الذي سمعوا منه اسم اللسان العربي .
فاخذت معي مطوفا كان يكلمني باللغة الفرنسية بصورة جعلتني اخل نفسي اتحدث
مع انسان تعلمها في العسكرية لا افهم منه الا الشيء القليل .
ها أنا الان يا قراءى الكرام امام الباب الذي سادخل منه الى الكنيسة . وسندخلها



حوض الرضوء في صحن الجامع العربي باشبيلية

جميعاً بعد ربع ساعة نقضها في (المكتبة الكولبية) الكائن مدخلها في صحن الجامع حتى تنفرغ بعد ذلك لزيارة الكنيسة

المكتبة الكولبية

إذا أنت دخلت الى الصحن من «باب البردون» كان باب المكتبة على يسارك واممكنك ان تزورها من الساعة العاشرة الى الثانية بعد الزوال في الشتاء ومن التاسعة الى نصف ساعة بعد الزوال في زمن الصيف. وهي المكتبة التي أسسها (فرناند كولب) ابن الرجل العظيم الذي وجد الدنيا الجديدة «كريستوف كولب» وافتتحها بالكتب التي خلفها ابوه مع المذكرات التي حررها بيده حول العثور على امريكا و يبلغ عددها نحو الخمسة آلاف كتابا معها نحو الاربعين الف كتابا اخرى تجمعت من الهدايا. ولعل الذي يهمني ان اراه بصفة كوني مسلماً هو تلك (الفترينة) التي تحتوي على سيف «فرناند كونزاليز» احد منقذي اشبيلية من ايدي العرب.

فلنخرج منها اذا عاجلا ولنذهب الى ذلك الباب الضخم الذي سندخل منه الى الكنيسة. فادخلوا معي ايها القراء. ولا تغفلوا على انكم داخلون الى كنيسة قرر الاسبان «ان يجعلوها على شكل لا تدانها فيه كنيسة اخرى في العالم» وياكم ان تنسوا ايضاً ان احد اعضاء الجلسة التي قرر فيها بناؤها قام بين زملائه وقال «يجب علينا ان نعمل عملاً سيقول عنه ابناؤنا واحفادنا عند ما يشاهدونه بعدنا اننا كنا مجانين»

الكنيسة الجامعة في اشبيلية

هي حقيقة كما يقولون في جمالها وضخامتها. وقع الشروع في بنائها عام ١٤٠١ في نفس المكان الذي كان فيه المسجد العربي الذي هدموه تماماً طولها مائة وثلاثون ميترًا وعرضها ستة وسبعون وهو نفس قياس المسجد العربي الماسوف عليه. وقد شارك في هندستها وبنائها وتزييقها جميع المتفنيين الموجودين في ذلك التاريخ. ولكن رغما عما بذلوه من العناية بها فقد انهار جانب منها عام ١٥١١ ثم وقع لها انهيار آخر في اواخر

القرن التاسع عشر ينسبونه الى زلزال... ذلك الزلزال الذي لم يمس الصومعة العربية بسوء رغماً عن علوها الشاهق.



منظر داخلي للكنيسة الجامعة باشبيلية

والكنيسة مرتفعة جداً حتى ان بعض سواربها المصنوعة من الياجور يبلغ طولها اربعين ميترًا وثلاثين صانتيميتر وعرضها ستة عشر ميترًا وعشرة صانتيترات. يكثُر فيها الظلام والرهبنة ويشعر الانسان بصغره فيها لعظمتها.

والكنيسة - كما أسلفنا - كلها كنوز يجوز لنا ان نحكم بانها من أحسن كنائس الدنيا كما شاءوا أن يصنعوها ويجوز لنا أيضاً أن نعتقد بانهم كانوا مجانين كما ارادوا لا

من جهة ابداعهم في بنائها وزخرفتها ولكن لمجرد اعتدائهم الفضيعة على الجامع العربي بهدمه وحجزه عن اعين الناظرين الى الابد. تلك الجوهرة التي يمكننا ان نعتقد بانها كانت بالغة منتهى الجمال والجلال. ذلك المسجد الذي يجوز لنا ان نعدده من ابداع مساجد العالم الاسلامي لاسيما اذا نحن قارناه بصومعته الجميلة وبالقصر المجاور له والذي يفصله عنه عرض الطريق. ثم اذا نحن القينا نظرة على تلك السواري المقتلعة منه والتي حوطوا بها الكنيسة كما سيأتي. كل ذلك يدلنا على قيمة مسجد اشبيلية العظيم من جهة وعلى عظم جريمة رجال الكنيسة في ذلك الوقت من جهة اخرى.

ورغمًا على ما في كنيسة اشبيلية من التحف والكنوز فانها لا تهم السائح المسلم كثيرا ولعل احسن شيء يشعر به فيها هو ذلك الدرس الصامت من ذلك الفهم الابكم الذي كنت اسمعه يملاني حكما ومواعظ.

وعلى كل حال فيها انا احدث القراء المسلمين على ما يهم السائح العربي فيها حتى لا يفوته الاطلاع عليه اذا سمحت له الظروف بزيارة الاندلس وأهمها :

الساكريفيسا مايور — تحتوي من جملة ما فيها على موضع اطلق عليه اسم « الكنز » مكانه في اعلا المنبر وفيه عدة تحف نفيسة من جملتها مفاتيح المدينة التي سلمها ملوك العرب الى سان فرديناند عند خروجهم منها وهي منقوشة بكتابات عربية هذا مفادها « الله يفتح والملك يدخل . وان شاء الله يدوم ملك الاسلام في هذه المدينة »

قبر كريستوف كولمب — تعرض اليه بصفته رجلا عالميا بهم العالم كله وقبره في الحائط الغربي بالقرب من الباب المسمى « باب كريستوبال » وهو محمول على اكتاف اربعة رجال ربما ظن الناظر اليهم انهم رجال عاديون. ولكن المتعمق في البحث يدرك اخيرا ان اولئك الرجال هم الملوك الاربعة الذين تكونت منهم الوحدة الاسبانية - ملك ليون وملك - كاستيل - وملك - اراكون - وملك - نافار .

وهؤلاء الملوك - وما ادراك - قد اعترفوا الى كريستوف بفضله وقدروا له اعماله ورفعوه على اعناقهم اعزازا له واكراما. والتمثال يمثل الملوك على حالتهم الطبيعية وفي

حجمهم الاعتيادي. وكذلك التابوت الذي يضم رفات مكتشف الدنيا الجديدة فإنه ايضا في حجمه الطبيعي. ولعل تلك الدرجة هي نهاية ما يحلم به الانسان وذلك جزاء الرجال العاملين.



قبر كريستوف كولومب على اكتاف ملوك اسبانيا في كنيسة اشبيلية

قبر سان فرديناند. وهو الرجل الذي افتك اشبيلية من ايدي المسلمين عام ١٢٤٨ مسيحي لا لباس بان يقف عليه العربي لحضة يتذكر فيها ذلك اليوم المشؤوم ويتذكر نتيجة تلك الخلافات الصبائية التي آلت بسقوط الدولة العربية في تلك الديار. اما ابواب الكنيسة فهي كلها مستحدثة ولو ان فيها بابا اذا لم يكن هو باب

المسجد العربي نفسه فلا اقل من كونه مقلدا عليه وحقيقة انه آية في الجمال والفن والذوق الحسن . وها انا ادل عليه قرامي حتى اذا اسعد الحظ احدهم بزيارة الجزيرة الاندلسية امكنه ان يقف عليه بنفسه لعله يشاطرنى فيما ذهبت اليه .

اقرب طريق للوصول اليه هو الدخول للكنيسة من بابها المجاور لباب الصومعة فاذا اجتازه الانسان رآى امامه في الجدار البعيد المقابل بابا آخر يجب الوصول اليه حتى اذا وقف الزائر امامه كان الباب المقصود بالذات على يمينه لا يبعد عليه الا بما لا يزيد عن الثلاثة امتار . وعلى جانبيه حوضان صغيران وجميلان مرتفعان على ساقين من الرخام الملوب فيهما جانب من الماء الذي يتبرك به النصارى . فاذا فتحه الانسان واجتازه وجد نفسه في مصلى آخر كبير وفي اول جداريه الكائنين على يمين الداخل ويساره بابان صغيران عليهما نفس النقوش الموجودة على الباب الكبير يذهب فكر من يراها لاول نظرة يلقيها عليهما انهما كانا بابي المنبر والمقصورة اللذين يكونان عادة على جانبي المحراب في المساجد العربية

وفي الكنيسة - زيادة على ذلك - ساريتان اوصلني اليهما رجل لا قاني بالقرب منهما وانا وحدي واسمه (مانويل دراقوكوندي) قائلاً لي انهما كانتا على يمين المحراب العربي ويساره ملاحظاً لي انهما من غير النوع المتعارف وانهما لا يحجبان ما خلفهما وليظهر لي صدق دعواه اشعل عود كبريت ادخله وراء احدهما فكنت اراه من الامام والساريتان كائنتان في احد جدران البناية الوسطى في الكنيسة من الخارج .

والكنيسة مفتوحة النهار كله الى الساعة الخامسة ونصف مساء ما عدى ساعتين او ثلاثة في منتصف النهار والدخول اليها مجاناً ما عدى بعض جزئياتها فان ثمن الدخول اليها لا ينقص عن الخمسين صانتيماً ولا يزيد عن البسيطتين .

وهي - كما لاحظنا سالفاً - محاطة بعدد وافر من السواري التي كانت مقامة في المسجد العربي احصيتها يوماً فاذا هي مائة وثلاثة وستون سارية كلها مركوزة في الارض بين الواحدة والاخرى مسافة لا تزيد على الخمسة امتار وتنقص احياناً . وكل ساريتين

مشدودتان بسلسلة عظيمة الا ما كان منها امام ابواب الدخول فانها غير مشدودة .
ذلك كل ما يمكننا ان نقوله لقراءنا على ما نظن ولعل فيه الكفاية ضرورة اننا لو
اردنا ان نتكلم على الكنيسة وعلى كل ما فيها لضاق بنا النطاق في التحدث على اشياء
لا تهم الا النصارى .

فلنغادرها اذن حاملين تلك الذكريات المؤلمة الى مكان لا يبعد عنها بكشرين
يمكننا ان نشاهد صومعة الذهب .

منارة الذهب او الصومعة الذهبية

كائنة على ضفة الوادي الكبير . وارتفاعها لا يزيد على العشرين ميترًا . تختلف عن
المنارات الاعتيادية بانها لها اثنا عشر جهة . كانت كلها - ايام العرب - مطلية بالذهب
الوهاج حتى اذا مستها اصابع الشمس الرقيقة انعكست منهما اشعتها على الوادي الذي يمر
من امامها فيحدث من تواجده اللطيفة ذلك المنظر العجيب .

ويقال انها جعلت ليقام عليها الاذان اذا ادرك المنتزهين على ضفتي الوادي وقت
صلاة المغرب او العشاء واعجبته تلك المناظر فارادوا ان يقيموا صلاتهم في ذلك المكان
ذلك المكان الذي كان يملئ الشعر على الشعراء وينعش بنسيمه العليل قلوب العاشقين .
ذلك المكان الذي جعلني اعتقد ان ابن سهل نظم ديوانه - او قصائده في موساه - وهو
مطروح على رمال الوادي ينظر تارة الى المياه الجارية واخرى الى الصومعة الساكنة
يستمد منها تلك المعاني الرقيقة وذلك التغزل الذي كاد يسيل رقّة .

كذلك كانت تلك المنارة . وعلى تلك الصورة خلفها العرب عند ما التفتوا اليها . وهم
خارجون - يودعوها الوداع الاخير ويلقون عليها النظرة الاخيرة . اما اليوم فقد
اصبحت لا قيمة لها حتى ان جمعية ارشاد السواحين حذفها - او كادت - من
برامجها واغفلت ذكرها حتى في المطبوعات الصغيرة التي تعطيها لهم ليستعينوا بها
نوعا ما - على معرفة الاماكن التي تجب على السائح زيارتها .

ان تلك الصومعة اصبحت اليوم محل سكنى لا اقل ولا اكثر واعطيت لرئيس
الديوانة يتصرف فيها كما يتصرف المالك في ملكه • ولقد تقدمت لها - رغم انذاري -



صورة منارة الذهب باشبيلية

وطلبت الاذن بالصعود اليها فكان المنع نصيبي • ولذلك فليسمح لي القراء اذا انا اكتفيت
بما كتبتة عنها ولقد كان بودي ان اكتب عنها شيئا كثيرا •

وها نحن الان انتهينا من زيارة هذا القسم الاسلامي من المدينة اين كان يسكن

الملوك ويصلي المسلمون ويتنزهون في اوقات فراغهم ولم يبق لنا الان الا ان نزور بقية البقاع المبعثرة في وسط المدينة وستكون زيارتنا لها لا على معنى الاطلاع على ما عمله الاسبان كما يقولون في كتبهم وكما يقول المطوفون الى السواحين ولكن على معنى التفرج على تلك المنازل الجديدة التي اقامها الاسبان حقيقة ولكن بايدي من بقي عندهم من المسلمين الفنانين الذين لم يستطيعوا الرحيل بعد افتتاح المدينة من ايديهم لفقهم فاعتنم القوم الفرصة وابقوهم عندهم لاقامة تلك القصور التي ينسب بناؤها او تجديدها الى بعض الفنانين الاسبانيين فاذا نحن زرتها فانما نحن في الحقيقة نزورها لنشاهد الهندسة العربية ولنرى ما بناه الفنانون المسلمون .

فها بنا نذهب الى هاتيك القصور او الاديار وغيرها ولنبدأ بزيارة قصر ييلاتوس الضخم الذي لا يخلوا من اهمية تاريخية وجمال فني .

﴿ قصر ييلاتوس ﴾

القصر بعيد على المكان الذي كنا فيه . ومكانه في ساحة ييلاتوس رقم ١ وهو مفتوح النهار كله والدخول اليه بخمسين صانتيما . وللوصول اليه يمكن للرجل الغني ان يتسوغ عربة خصوصية وللرجل الذي لا تسمح له ميزانيته بذلك ان يركب الترمواي الموصل اليه بعد ان يسال عليه اول عون يعترضه في طريقه . وبما ان مالتنا ضعيفة فلنستعمل الطريقة الثانية .

ها نحن الان بساحة ييلاتوس امام القصر . بابه من حديد وقوسه جميل مصنوع من الجبس المنقوش نصل منه الى صحن مربع تقريبا في زواياه الاربعة اربعة صناديق من الرخام يقف على كل واحد منها رجل من الرخام بحجمه الطبيعي احدهم يحمل دفا والثاني حرابا وترسا والثالث درقة وعصا غليظة والرابع بعض الغلال الصيفية . وارضية الصحن من الرخام ويحيط به اربعة براطيل متصلة ببعضها على هيئة صحن قصر بني عباد . وكل واحد من تلك البراطيل عبارة على ستة اقواس ينقصها النظام مقامة على

خمسة سوارى لا عيب فيها الا ان المسافات الواقعة بين الواحدة والاخرى منها غير متساويات . والا قواس كلها من الجبس المنقوش وفوقها دربز الطاق العلوي الذي يلوح عليه انه لا اهمية له . وفي وسط الصحن خصة كبرى يتوسطها النصف الاعلى من تمثال رجل ذي لحية بيضاء طويلة ملتفت الى المدخل .

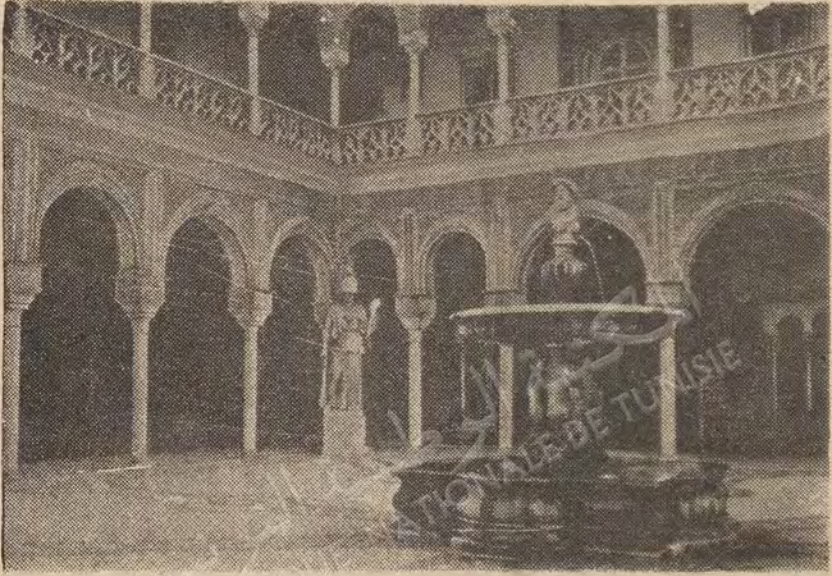
يجد الداخل الى قصر يلاتوس على يمينه بيتا مدخلها ذوقوس مرتفع من الجبس المنقوش على جانبيه نافذتان كتلتاهما ذات قوسين باباها مع باب المدخل مغطاة بطبقة من النحاس . وصحنه من ياجور غالبه مهشم وطوله نحو ١٦ متر وعرضه ٥ ميترات وبه ستة اشكال من انواع الجليز وسقفه جميل متركب من مربعات بجانب بعضها عددها ٩٥ مربعا تسعة عشر على الطول وخمسة على العرض . وتقابل مدخل البيت نافذة تطل على بستان جميل .

والبيت الثاني ويسمونه بيت المحكمة يشابه الاول الا ان ارضه من الرخام يحتوي على نقوش بسيطة وذات اهمية وامام مدخله باب موصود قوسه منقوش بخشونة لم اعلق عليه اهمية غير ان الحارسة اغتازت لاغفالي امره فاقترحت علي الرجوع اليه وفتحته بمفتاح بيدها فاذا ورائه بيت صغير مربع بوسطه عمود من رخام يبلغ ارتفاعه مترا تقريبا خلفه كرسي من الرخام مرتفع . وجدرانه وسقفه من الجبس المنقوش وفي سقفه بعض اشكال مجعولة من اللوح المنحوت . وذكرت لي الحارسة ان هذا البيت يسمى (كايلا) وبما ان اهم شيء في هذا القصر هو السلم الموصل الى الطاق العلوي فلنكشف بدينك البيتين ولنذهب اليه للاطلاع على اهميته التي قيل لنا عنها :

هو كما يقولون . هو حقيقة جميل الى ابعد حد . يحتوي على انواع من الجليز المختلفة اشكاله وانواعه والمتباعدة هيأته وتراكيبه

فلنصعد اليه ولنقف حصة في ذلك المكان الجميل الذي نجده على الدرجة الثانية عشر ولننظر من تينك النافذتين الجميلتين الى ذلك البستان الجميل . ولنجلس اذا اردنا على دينك المقعدين اين نقضي حصة في ذلك السكون . ثم لنصعد ولنقف على الدرجة

العشرين ايضا امام تلك النافذة ولنصعد بعد ذلك لنقف من جديد امام الدرجة التاسعة والعشرين ونجلس على ذلك الكرسي الرخامي الذي يتسع الى ١٢ رجلا تقريبا.



منظر ساحة قصر بيلانوس باشيبليه

ثم لنكمل طريقنا الى ان نصل الى الدرجة الثامنة والثلاثين ان يمكننا الوقوف والتمتع برؤية السقف وقبته الثمينه المقامة على اربعة مقربسات لا باس بها . وهنا لم يبق لنا الا درجتان فقط اذا نحن صعدناها راينا امامنا نافذة وعلى يميننا مشى ينتهي الى باب موصود وعلى يسارنا بابا حديديا يدخل منه الى القسم المخصص لمسكن اصحاب القصر وقد لاح لي انه لا اهمية له اللهم الا اذا كانت بيوته - كما هو المتوقع - تحتوي في داخلها على اشياء ذات قيمة . وليسمح لي القراء اذا انا لم ادخل الى هذا القسم من القصر لاحديثهم عليه فذلك راجع الى ان الدخول اليه ممنوع على العموم .

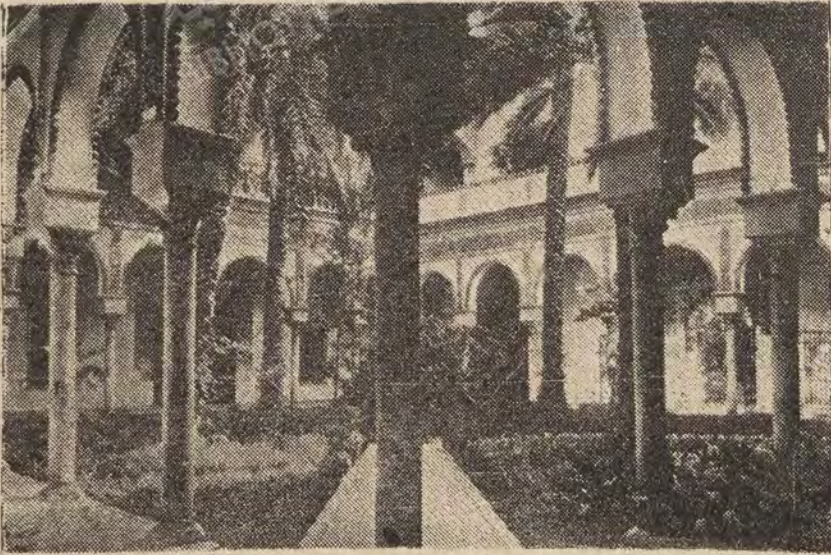
ولعل ما أتينا عليه في هذه الاسطر كاف لتصوير القراء . فلنتنقل منه اذن الى اماكن اخرى لا يطول مكوثنا فيها ولا كلامنا عليها ومنها :

دير سان كليمانتي

اسس في القرن الثالث عشر على يد سان فرديناند في قصر من قصور ملوك الاسلام بعد ادخال تغييرات عليه نقصت من قيمته بدون شك وهو نفس القصر الذي خصصه المعتمد بن عباد الى ضيفه يوسف بن تاشفين بعد حرب الزلاقة المشهورة في التاريخ. وقد اعتنى ملوك الاسبان بهذا الدير اعتناء خاصا ولا سيما فيليب الثاني وشارل الثالث وهما اللذان اصلحاه عام ١٧٧١.

وفي بيت العبادة من هذا الدير سقف جميل من اللوح الرقيق. وفيه ايضا قبر (ماري) ملكة البرتغال وزوجة الفونس الحادي عشر. وفيه صورة زيتية كبرى رسمها الفنان - جوان فالديس - تمثل دخول سان فرديناند الى اشبيلية بعد انتصاره على المسلمين. والدير كائن بنهج سانطاكلارا رقم ٧٩ والدخول اليه مجانا في كامل النهار.

*(دار ديك دي البا) *



منظر من دار ديك دي البا باشبيلية

تحتوي على جميع آثار المسلمين التي خلفوها يوم خروجهم من البلاد الاندلسية ثم

وقع العثور عليها في جهات مختلفة. وقد استهبا عائلة (البينيدا) وبيعت عام ١٤٨٣ الى - كاتالينا دي ريبيرا - زوجة بدرو هازريكيز. وقد كانت هذه الدار تحتوي على ساحات عديدة فوق العشرة كلها آيات من آيات الفن والجمال وفيها من السواري المرمية البديعة ما يربو على المائة سارية. اما اليوم فقد نقص هذا العدد كثيرا ولو ان الدار في حد ذاتها لا زالت ذات قيمة فنية. وهي مفتوحة النهار كله وموقعها في نهج - ديوناس - رقم ٣ والدخول اليها مجانا.

كازا لونجا وخزانة الاندياس

كازا لونجا - اودار لونجا - هي بناية مربعة طول كل جهة من جهاتها ٥٦ ميترًا . وارتفاعها ١٨ ميترًا . وقع الشروع في بنائها عام ١٥٨٥ ولم تتم الا في عام ١٥٩٨ . وقد اقيمت على مقتضى برنامج احضره لها المهندس (هيريده) صاحب برنامج مكتبة الاسكوريال الشهيرة باحواز مدريد عاصمة اسبانيا اليوم . اما خزانة الاوراق الاثرية المشهورة بخزانة الاندياس فهي كائنة في الطابقين السفلي والاولي من هذه الدار ويرجع تاريخها - اي تاريخ الخزانة - الى عام ١٧٤٨ . ويرجع الفضل فيها الى مجهودات الملك شارل الثالث . وتحتوي على جميع الاوراق التاريخية التي لها علاقة بمستعمرات اسبانيا في الزمن الغابر وامريكا على الخصوص . والدار كائنة بنهج بريمو دي ريفيرا والدخول اليها مجانا كل يوم من الساعة التاسعة الى الثانية بعد الزوال .

متحف بيلاس آرتيس

اقم هذا المتحف على انقاض دير مارسيل وهو يمتاز بجدرانه الجميلة المزودة بجميع ما وقع اقتلاعه من جليز وفيسفساء القصور العربية التي هدمت باشبيلية . ويمتاز ايضا بساحاته المتسعة التي يكثر فيها نور النهار بصفة زادته جمالا . وفيه متحف اثري يحتوي على عدة كتب ذات اهمية كبرى يرجع تاريخها الى جميع العصور ولا سيما العصرين العربي والروماني وقع العثور عليها من جملة ما وجدوه في بلدة (ايتاليكه)

وفي قصور وجوامع اشبيلية وما جاورها من البلدان . والمتحف واقع في ساحة كازا
قاليندو ومن الدخول اليه بسيطة واحده ما عدا يوم الاحد فالدخول مجاني . وهو
مفتوح من افريل الى جوان من الساعة ١٠ الى ١٦ ومن جوان الى سبتمبر من الساعة
٩ الى ١٤ ومن اكتوبر الى مارس من الساعة ١٠ الى الثالثة بعد الزوال .

✽ برج الضون فادريك ✽

يرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر . وهو بناية حربية من احسن وامنع بنايات
اسبانيا الحربية . ولهم به اعتناء خاص . وهو من آثار العرب في المدينة كانت استولت
عليها الكنيسة ثم اشترتها البلدية اخيرا من متعبدات سانت كلير . وهم يعترفون بانها
عربية ولكنهم يدعون بدون دليل - ان اساسها روماني . وهي اليوم محاطة ببستان
جميل وعلى يمينه متحف اثري تابع للبلدية فيه بعض كتب في الفنون الجميلة العربية لها
قيمة كبيرة . والبرج كائن في نهج سانطاكلا رة ٣٢ والدخول اليه بدون مقابل كل
يوم من الساعة التاسعة الى الزوال ومن الساعة الثانية مساء الى الساعة السادسة .

✽ سور اشبيلية الاسلامية ✽

في شمال المدينة توجد الى يومنا هذا بقية من السور الذي بناه اسلافنا العرب
لحفظها . وقد كان طول هذا السور سبعة عشر كيلومتر وبه ١٢ بابا . ولكن لم يبق منه
اليوم الا هذا الجانب الكائن بين باب قرطبة وباب الماكارينه . وهو لا يزال شاهدا
على قوة العرب الذين اقاموه . وارى من الواجب على كل عربي قدر له الوصول الى
اشبيلية ان يزور تلك البقية الباقية من ذلك السور التاريخي العظيم .

والان - ايها القراء - لم يبق لنا ما يستوجب زيارتنا في اشبيلية الا تلك الكنائس
الصغيرة العديدة والاديرة الكثيرة التي طالما نهني اليها مطوفي ونحن نتجول في المدينة
والتي كنت اراها تغص بالمتفرجين من السواحين والتي كنت لا ادخل إلا الى القليل
منها . وهناك - زيادة على ذلك - بعض اماكن اخرى مستحدثة اراهم يعتنون بزيارتها

كثيرا مثل الجامعة العلمية ومعمل الدخان وغيرها ثم لا ارى فائدة لقراي ولا لي في التحدث عليها. ولذلك فلنخرج من المدينة الى البستان العظيم الذي هو في احوازها والذي اطلق عليه اسم (بارك ماريا لويزا)

(بارك ماريا لويزا)

يجب ان نسال على الترامفاي الموصل اليه فنركبه لننزل امام مدخله الاكبر. هو بستان عظيم ونظامه ياخذ لب الداخل اليه. يحتوي على عدة انواع من الاشجار ولو ان غالبا من اشجار النخيل والبرتقال والمادالينه. ولا يكاد الانسان يضع فيه ساقه حتى يشعر بشيء من تلك الروح التي شعر بها وهو في البستان التابع لقصر بني عباد الذي تقدم ذكره. والى اي جهة توجه الداخل اليه وجد امامه طرقات واسعة هي اشبه شيء بالطرقات الكائنة بالبستان العمومي بتونس ولكنها تمتاز عنها بتلك الازهار والاشجار الجميلة وبذلك النظام البديع وبتلك النظافة وذلك الاعتناء.

اما الساحات الموجودة في هذا البستان فليس هناك ما يتأسف له القادم عليها إلا تلك الساعة التي يجب عليه ان يغادرها فيها. وها نحن الان في وسط واحدة منها. انظروا الى ذلك الحوض العظيم الذي يتوسطها. وتمعنوا في تلك الضفادع الصناعية الاربعة التي يخرج الماء من افواهها في شكل خيوط بيضاء متجهة نحو بعضها بصورة يخال الناظر اليها انها حبال رقيقة من الحرير الابيض شدت الى بعضها فوق ذلك الحوض الواسع الجميل. ثم انظروا الى تلك الحمامات البيضاء التي لا تخافكم ولا تتعجبوا منها واحتفظوا بهذا التعجب - اذا كان هناك عجب - الى مكان آخر سيأتي الحديث عليه. فتمتعوا ابصاركم بتلك المناظر الطبيعية الجميلة واجلسوا على حافة ذلك الحوض مثلي وتمتعوا برؤية تلك الخيوط المائية الساحرة وعلى الدنيا الف سلام.

واذا نحن اشبعنا عيوننا من هذه الساحة الجميلة فلنتحول الى ساحة اخرى قريبة منها اين نجد نوعا آخر من الهندسة ولنشبع انظارنا من تلك الاسود المنصوبة على تلك المنصات المرتفعة فاتحة افواهها ليخرج منها الماء بتلك القوة وبذلك الضغط اللذين

جعلاه يخرج مندفعاً الى بعد نحو الخمسة امتار في شكل خيط غليظ . ولتقف امام واحد منها ولتضع يدينا في يده الحديدية الجامدة ولنسمع ذلك الخرير الخفيف المتكون بين فكيه ولتقف حصة نتمتع بذلك المنظر المحيط بالساحة المتكون من تلك الاشجار وتلك الزهور . ولنرحل بعد ذلك الى ساحة البستان الكبرى او - بعبارة اخرى -



منظر من ساحات البستان العمومي باشبيليه

ساحته الرئيسية اين نجد تلك الالاف من طيور الحمام الالبيض في انتظارنا .



ساحة الحمام ببستان اشبيلية العمومي

يا لها من ساعة قضيتها في هذه الروضة . ويا له من منظر اخذ بمجامع قلبي بمجرد وصولي اليها . كنت ارى - وانا لا زلت بعيدا عنها - ان ارضها ناصعة البياض . ولكن من كان يظن ان ذلك اللون هو لون آلاف مؤلفة من ذلك النوع من الحمام الابيض . اقتربت واذا بي اجد نفسي في وسط ذلك الجيش من تلك الطيور الوديعه التي الفت ابن آدم واصبحت لا تخافه

لم اكد اصل الى الساحة حتى اخذت تلك الطيور ترمقني بعيونها المستديرة وتركض نحوى بعضها على الارض وبعضها في الفضاء وهي تتزاحم للوصول الى والوقوف بين قدمي بل ان بعضها لم يكتف بذلك فاخذ يترامى علي لينزل على كفي او فوق يدي بصورة جعلتني اشعر بلذة لم اتعودها واحس بعجب يستولى علي ولو استطعت ان اجعل جميع احبابي ينظرونني من بعيد لفعلت . . . ولو قدرت على ان احضرهم كلهم في تلك الساعة ليروني محاطا بتلك الطيور الجميلة لما تاخرت عن ذلك . ولكن انى لي ذلك وهم بعيدون عني وانا وحدي هنا لا يشعر بتلك اللذة معي واحد منهم . على انني لم اشأ ان احرمهم من هذا المنظر الذي لم تنعوده واخذت لنفسي صورة لاضعها امام انظارهم وقفت فيها بين الحمامات الجميلة واحدى ديار امريكا في معرض اشبيلية الذي هو في البستان نفسه والذي سنتحدث عليه بعد قليل .

ويوجد في هذه الساحة عدة اطفال يبيعون نوعا من الحبوب الى السواحين ليقدموها لتلك الطيور التي لا تكاد ترى واحدا منهم يقف امام اولئك الاطفال حتى تلتف حوله لانها تعودت بتلك العملية واصبحت تفهم ان قوتها عند الاطفال وانها لا تطمع فيه من عندهم وتعودت ان لا تراه امامها الا من ايدي اولئك الغرباء . بل ان هناك اطفالا آخرين يبيعون الكاكاويه للسائح الذي يضعها في فمه - بعد تقشيرها طبعاً ويشمها قليلا باصبعه ثم يفتح فمه فتدخل تلك الطيور الجميلة رؤوسها فيه تلتقط ما تجمع

فيه من الكاوية المهشمة بدون خوف كأنها تلتقطه وهو على الأرض في مكان
ليس فيه أحد.
والغريب في تلك الطيور أنها تغادر الساحة إذا لم يكن بها بعض السائحين ولم يكن



منظر لطيور الحمام الأبيض ببستان اشبيلية

فيها إلا أولئك الاطفال. وإذا قدم احد ولم يجدها ولاحظ رغبته في رؤيتها لباعة الحبوب
فانهم يصفرون لها بكفية اصطلاحية فاذا هي قادمة افواجا افواجا نحو ذلك
الضيف الكريم.

وبما اننا الان وصلنا الى هذا المكان فلنذهب الى القنطرة المتحركة الممدودة على الوادي الكبير حيث انها قريبة منا .

ولنعرج قبل الوصول اليها على الدار المغربية التي جعلت لتجار المغرب الاقصى يعرضون فيها منتوجات بلادهم في المعرض الاشبيلي العظيم . وبما انني وجدتها في دور التوكين ولم تنته بعد فلاشك ان قراعي الذين سيزورونها وبايديهم كتابي سيكونون اسعد حظا مني لان برنامجها الذي تفضل بتفصيله امامي بناءوها (وكلمهم من عرب المغرب الاقصى) يسمح لي بان اقول انها ستكون آية من آيات الفن يمكننا ان نضيفها الى عقد القصور العربية بمدينة اشبيلية .

لنتقدم الى الامام . فلم يبق لنا إلا نحو المائتين ميترًا تفضلنا عن غایتنا اذا نحن قطعناها وجدنا انفسنا امام قنطرة عظيمة جدا يمر من فوقها الناس والحيوانات والعربات وحتى القطار الذي يذهب الى « ترييانه » وما بعدها . وهي ساكنة إلا اذا سمع حارسها صفارة احدى البواخر التجارية او غيرها فلا تشعر بها إلا وهي تنقسم الى نصفين من الوسط ياخذان في الارتفاع كل منهما الى جهة الى ان يتعدا عن بعضهما وبذلك يفسحان الطريق الى تلك الباخرة ويسمحان لها بالمرور بكل راحة وسهولة .

اما البواخر البحرية التي تصل الى اشبيلية فهي قادمة عليها من البحر الذي يبعد عنها بثلاثة وخمسين كيلومترا يجب ان تقطعها في مجرى الوادي الكبير الذي يقسم المدينة الى نصفين . والظاهر ان هذا وحده كاف لاعطاء صورة الى ذلك الوادي العظيم .

ولنرجع الان الى زيارة بعض ديار المعرض الاشبيلي لنرى تلك القصور الجميلة التي بنيت بصورة تدل على حياة البناء في الممالك التي خصصت اليها . ولعل اعظمها هي دار اسبانيا التي تمثل الهندسة والقوة والذوق الحسن لاسيما وقد جعلت امامها جارية تتفق مع عظمة الدار نفسها وضعوا فيها عدة انواع من الحيتان وبعض طيور من الازلا يعرف الناظر اليها باي شيء يشتغل منها واي شيء يلغي . على ان هناك ديارا اخرى صغيرة تفوق في جمالها دار اسبانيا مثل الدار التي يرى القراء بمحور الصحيفة صورتها الجميلة .

على اني لا انتقل بالقراء الى موضع آخر قبل ان اشير على من يذهب الى اشبيلية
زيارة هذا البستان ليلا ولو مرة واحدة ليرى تلك الثمار البديعة المعلقة في امهاتها يخالها
الناظر اليها انها من نتائج تلك الاشجار وما هي في الحقيقة إلا قناديل كهربائية اذا
اشعلت ظهرت في ذلك المنظر البهيح.



منظر احدى القصور الفخية بدعوض اشبيلية

والان فلنرجع الى المدينة لئلا نرى شوارعها ولا سيما القديمة منها التي يمكننا ان نأخذ
منها صورة من اشبيلية الاسلامية. فهي رغمًا على طول المدة لا يزال غالبها كما خلفه
المسلمون ضيقة جدا بحيث ان بعضها لا يسمح لاحد بالمرور فيه اذا دخلته عربات
الترامفاي التي تمر منها وهي تكاد تمس الجدران.

اما بساتين تلك الشوارع فهو اشبه شيء ببساط غالب المدن التونسية الكبرى
متركب من تلك الاحجار المنحوتة المتلاصقة الى بعضها كما هو ظاهر في الصورة التي
اخترناها لانها تمثل الحياة الاشبيلية او انها تمثل بعض جهاتها على الاقل فلينظر القراء الى
ذلك الرجل الراكب على حماره داخلا الى النهج الضيق الذي هو الى الشمال الافريقي

اقرب منه الى بلدان اوروبا. ثم لينظروا في النهج الى تلك المرأة الاسبانية التي كادت
تذوب خجلا امام عرسة المصور مما يجعلنا نعتقد بان الاخلاق العربية - اوشينا قليلا
منها على الاقل - لا تزال في نفوس سكان اشبيلية وفي نساءها بوجه اعم.



مشتر احدى النهج العربية فى اشبيلية

والظاهر اننا الان قد انتهينا من الاطلاع على ما فى اشبيلية من البقايا العربية ومن
آثار المسلمين وحتى على ما فيها من الامور المحدثه فيها بايدي بقاياهم بعد انجلاتهم
عليها ولم يبق لنا الان الا ان نتعرض الى اهم شيء يرتاح او يتعب به المسافر الا وهو مسألة
الاقامة واختيار الفندق الذي يمكنه ان ينزل فيه بدون ان يعبت به اولئك الذين
ينتظرون وصول الارتال ليقدموه الى اماكن ربما كانت لا تليق به.

وها نحن نضع امام انظار قرائنا بعض اسماء الفنادق مع اسعار البيت الواحد في اليوم الواحد وما على كل انسان الا ان يختار منها ما يتفق مع حالته المالية.

١ - فنادق الدرجة الاولى - فندق مادريد وثمان البيوت فيه يتراوح بين الثلاثين والستين بسيطة . (من ١٥٠ الى ٣٠٠ فرنك)

٢ - فنادق الدرجة الثانية - اوتيل انقلتيه - بريستول - باريز - وثمان البيوت فيها جميعاً يتراوح بين الخمسة والعشرين والخمسين بسيطة . (من ١٢٥ الى ٢٥٠ فرنك)

٣ - فنادق الدرجة الثالثة - اوتيل سيسيل واوتيل روما وثمان بين الستة عشر والخمسة والثلاثين بسيطة . (من ٨٠ الى ١٧٥ فرنك)

٤ - الدرجة الرابعة - اوتيل فرانسوا واوتيل اوريانتي واوتيل رويال وثمان بين ١٥ و ٢٥ بسيطة إلا الاخير فيصل الى خمسة وثلاثين .

٥ - الدرجة الخامسة - اوتيل سان سياستيان واوتيل سيمون وثمان البيت فيها من ١٢ الى ٢٥ بسيطة . (من ٦٠ الى ١٢٥ فرنك)

ويجد المسافر عربات جميع هذه الفنادق في المحطات عند نزوله في اشبيلية وله ان يختار ما شاء منها لنفسه مع اعتبار ان البسيطة الواحدة تساوي خمسة فرنكات فرناوية في الوقت الذي كنت فيه بالاندلس . اما اليوم فقد نزل سعرها كثيراً .

ملاحظة - وليحاذر الزائر ان يكون وصوله الى مدينة اشبيلية في ايام الاسبوع المقدس او في احد الايام التي توافق ١٨ و ١٩ و ٢٠ من شهر افريل من كل عام فان تلك الاثمان الفادحة بالنسبة لمن كانت سكنتهم مرتبطة بالسكة الفرناوية تكون مضاعفة تماماً .

اما عربات الزهرة او الانتقال فان كانت بخارية فان حسابها بالكيلومتر وعلى كل عربة ورقة مبين فيها الثمن وان كانت مجرورة بالخيول فليحذر الانسان اصحابها الذين هم شكل واحد في كل مكان وها نحن نضع تعريفة اجورهم حتى لا يحصل في شراكمهم السائح العربي

العربات المجرورة على قسمين : عربات بحصان واحد وعربات بحصانين .
والساعة الكاملة في الاولى تساوي ٣ بسيطات لاربعة انفار على الاكثر . وتساوي ٤
بسيطات في الثانية . وتضاعف تلك الاسعار ايضا في الايام المذكورة من افريل . ولا
باس بان يقضي الانسان ساعة او ساعتين كل يوم مدة اقامته باشبيليه يتمتع فيها بما وهبها
الله من جمال فتان .

والمقاهي في اشبيليه لها طابع خصوصي تمتاز به تلك المدينة حيث يكثر فيها الزهو
والطرب والرقص على انغام القيطارة . والغريب اني كنت اسمع في تلك الاناشيد بعض
الانغام العربية ولا سيما - السيكاه - وكانني اسمعها في احدى اشغال المألوف . واذا
نسيت فلا انسى ذلك اليوم الذي وقف فيه امامي ذلك المغني اللعين لينشد لي انشودة
ادركت انها على العرب من كلمة - مورو - التي تكررت عدة مرات وليجعل جميع
من بتلك المقهى يلتفتون نحوي مسرورين ولا ادري لماذا وضاحكين ولا ادري على
ماذا . واراني غير محتاج لا قول لقراي بان تلك الانشودة - التي لم افهمها - كانت
غالية جدا .

اجلس باي مقهى شئت في اشبيليه . فاذا جاءك الخادم وطلبت منه قهوة تشر بها
رجع اليك بعد حصاة وعلى صحنه قهوتك وكأس ماء وصحن فيه نحو العشر حبات من
الزيتون المالح وقطعة صغيرة من اللوح على هيئة الابرة الغليظة ترفع بها ذلك الزيتون
الى فمك . وثمان القهوة يترأوح بين الستين والخمسة والسبعين صانتما (اي نحو الاربعة
فرنكات فرنساوية ...)

واهم انهج المدينة واكثرها عمرانا رغما عن ضيقه هو نهج - لاس سيارييس - الذي
تكثر فيه المقاهي والمغازات التجارية الكبرى . وهو ممنوع على العربات بجميع
انواعها . وبه اعوان يحافظون على سير المشاة ولا يسوغ ان يمشي فيه الراجل الاعلى
يمينه والا فالعون الذي يراه يمنعه من المرور الا اذا تحول الى ممشاه القانوني .
وفي هذا النهج وفي الرقم ٨٧ يوجد فرع من بنك - كريدي ليوني - مثل الفرع

الموجود بتونس والذي يمكن للتونسيين اذا ارادوا زيارة الاندلس ان يؤمنوا فيه اموالهم لياخذوها باشبيلية .

هذا كل ما يمكننا ان نقوله عن مدينة اشبيلية . تلك المدينة التي تولى الحكم فيها الفنيقيون ثم اليونان ثم القرطاجنيون ثم الرومان ثم العرب المسلمون . تلك المدينة التي شاهدت تلك القصور الشاهدة ليومنا هذا بالفن العربي تقام على عهد الموحدين عام ١١٤٦ . تلك المدينة التي لم تر عصراً ذهبياً كالعصر الذي مر عليها بين عام ١٢٠١ وعام ١٢٤٨ يوم كانت عاصمة مملكة عربية شاسعة الاطراف . تلك المدينة التي رأت مصرع الجيش العربي امام جيوش النصاري وشاهدت يوم ١٩ نوفمبر ١٢٤٨ الملك المنتصر فرديناند الثالث يدخل اليها بين هتاف المنتصرين .

فلنخرج من اشبيلية . لنخرج من المدينة التي اقتبلتنا بابتساماتها العذبة وبساتينها الغناء وبطيورها الجميلة . لنخرج من تلك التي عانقتنا يوم قدومنا والتي لا نزل نشعر بمعصمها حول اعناقنا وهي تغرينا بجمالها وجلالها وترجو منا زيادة الاقامه .

هي اليوم المدينة الرابعة في اسبانيا . وهي اليوم عاصمة الجنوب الاسباني بتمامه . ولكن ما ذا يعنيننا من كل ذلك . اذن فلنلق عليها النظرة الاخيرة ولنغادرها - بدمعة وابتسامة - الى مدينة قرطبة . فالى قرطبة .



ارشادات السفر من اشبيلية الى قرطبة

المحطات	س	اثمان الركوب			اوقات الارتجال					
		درجة								
		١	٢	٣	١	٢	٣	٤	٥	٦
اشبيلية					٤٥ » ٦	٤٠ » ٧	٥٠ » ١٢	٤٥ » ١٣	٥٥ » ١٨	٢٠ » ٢٠
سان جيرومينو	٥٥	٣٠ » ٠	٥٠ » ٠	٥٥ » ٠	ساعة الخروج	الخروج	الخروج	الخروج	الخروج	الخروج
لارينكوندا	١٣	٢٥ » ١								
برينتينس	٢٢	١٠ » ٢								
جانتيلانه	٢٨	٦٥ » ٢								
روزايوس	٣٥	٠٠ » ٢	٣٠ » ٣	٤٠ » ٤						
كوادجوس	٤١	٩٥ » ٣								
آزنسك	٤٨	٢٥ » ٥								
لورا-ديل-ريو	٥٨	١٥ » ٣	٢٥ » ٥	٠٠ » ٧						
بوفيافلور	٧٨	٠٥ » ٧								
بالما-ديل-ريو	٧٩	٤٥ » ٧								
هورنا شويلو	٩٠	٤٥ » ٨								
بوساداس	٩٩	٦٠ » ٥	٣٠ » ٩	٤٠ » ١٢						
المودوفار	١٠٨	٢٥ » ١٠								
فيلا روبا	١١٨	١٠ » ١١								
قرطبة	١٣١	٤٠ » ٧	٣٠ » ١٢	٤٠ » ١٦	٢٥ » ١٠	٠٩ » ١١	٤٥ » ١٥	» ١٦	٢٥ » ٢١	١٥ » ١

من اشبيلية الى قرطبة

ليس بين المدينتين شركات نقل - في ذلك التاريخ - إلا شركة «ارتال الاندلس» وفي كل يوم يخرج من اشبيلية ستة ارتال

وقد اثبتنا في الجدول السابق جميع ما يحتاجه المسافر من بيان اثمان الركوب في الدرجات الاولى والثانية والثالثة وفصلناها في وادي الدرجة الثانية لان تلك الدرجة هي التي تناسب جميع الناس . والاثمان على حساب البسيطة الاسبانية . كما بينا اوقات خروج الارتال من اشبيلية واوقات وصولها الى قرطبة بصورة واضحة جلية ولو اننا ضربنا صفحا عن بيان الاوقات التي يصل فيها لبقية المحطات

وقبل الذهاب الى المحطة يجب الانتباه الى ان هناك محطتين في مدينة اشبيلية لا يمكن الذهاب الى قرطبة إلا من احديهما فقط . وقبل الوقوف امام شبك التذاكر يجب الانتباه ايضا الى ان كل درجة لها شبك خاص ويحسن السؤال عن شبك نوع التذكرة التي يراد اخذها حتى لا يضيع الانسان وقته في تحصيل دوره حتى اذا وصل امام المستخدم ارسله الى شبك آخر يجب ان ينتظر فيه دوره من جديد .

اخذت تذكرتي في الرتل الثالث ودخلت للمحطة واخذت مكاني وسمعت جرسا يدق تحرك على اثر صوته الرتل واخذ الركاب - إلا القليل منهم - يتناولون ما اخذوه معهم من المآكل وقد رايت هنا ان عادة عربية لا تزال فيهم فقد كانوا يقترحون علي ان اشاركهم حتى اذا حاولت الامتناع قدموا الي شيئا مما بايديهم . وهكذا اصبحت معهم واحدا منهم واصبحت صديقا لهم لم يكن ليؤلني إلا جهلي لغتهم وجهلهم لغتي واللغة الفرنسية معا فلم اكن افهم منهم الا اشياء قليلة .

ولم يكادوا ينتهون من ذلك حتى رايت رجلا يدخل عليهم حاملا بيده مقبضا ورايتهم يتهيئون اليه ويستعدون لدخوله استعدادا عظيما مصحوبا باصوات الابهاج وبعلامات

السرو. وضع الرجل مقبضه واخرج من جيبه بعض اوراق اللعب واخذ الناس يتخاطفونها في مقابل عشرة صائتات يدفعها كل من ياخذ ورقة. وعلمت ان تلك الاعمال (لوتارية) فشاركهم وكان الحظ نصيبي في ثلاث مرات من المرات الخمسة التي اعادها في عربتنا. وفرت بثلاث جوائز هي عبارة عن صناديق فتحتها فاذا بها كميات وافرة من الحلويات اليابسة اغتمتها فوزعتها على اصدقائي في مقابل ما اخذته منهم قبل ربع ساعة. ولا تسل عن سرورهم في كل مرة انجح فيها. وغادرت الرجل الى عربة اخرى واقتربت انا من النافذة انظر الى تلك الاراضي الزراعية الشاسعة والى اشجار البرتقال التي لا تحصى. ولعل اهم ما رايت في طريقي ذلك البرج المائل - ويظهر انه عربي - الكائن في اعلى نقطة من احد الجبال التي تمر بها بين محطتي (بوساداس) و (المدور) ونظرت اخيرا الى ساعتني فرجدت عقربها الصغيرة على رقم (٣) فاخذت استعد لرؤية المدينة الهائلة التي كنت اقصدها. ووقف الرتل في الوقت بالتدقيق ونزلت مع النازلين وخرجت وماكدت اغادر المحطة حتى وجدت نفسي في اكبر شارع في المدينة وهو شارع (القران كايتان) الذي تكثر فيه الفنادق والمقاهي ودور التيشل والسينما وبعد ان اضع حقيتي في احد فنادق هذا النهج بنفسه انزل الى المقهى القريبة اتناول فيها كاساً من الحليب. ثم اخرج في الحين لمشاهدة اعظم اثر عربي فيها واكبر شاهد على مدينة اسلافنا وقوتهم وهو الجامع العربي الذي لا يزال قائماً فيها الى يومنا هذا.

الجامع العربي

هذا الجامع - او المسكيتا كما يسمونه اليوم في قرطبة - هو الجامع الاعظم الذي وقع الشروع فيه على يد عبد الرحمان الاول عام ٧٨٥ م وتم بعد موته على يد ابنه هشام عام ٧٨٨. ونظراً لكثرة الوافدين من العرب الى قرطبة فقد وسعه عبد الرحمان الثاني بين عامي ٨٣٣ و ٨٤٨ بان اضاف اليه زيادة في جهة الجنوب بصورة تحتم معها ابدال محرابه الاصلي وبقي على تلك الحالة الى ان تولى الحاكم بالله الثاني فاضاف اليه زيادة

اخرى في جهة الجنوب ايضاً بين عامي ٩٦١ و ٩٧٦ وابدل محرابه من جديد وفتحه في مكانه الان ودام كذلك الى ان صار الحكم الى هشام الثاني الذي زاد فيه الزيادة الاخيرة في اواخر القرن العاشر وذلك بان اضاف اليه ثمان مسكنات رآها لازمة لكثرة المصلين في ذلك التاريخ.

اما المكان الذي وقع بناء الجامع فيه فقد كان يضم كنيسة للنصارى اخذ المسلمون نصفها جعلوه مسجدا وابقوا نصفها لاولئك النصارى يقيمون فيها طقوسهم الدينية بكل حرية واطمئنان. ثم لما رأى المسلمون ضيق الجامع حاولوا ضم نصف الكنيسة الثاني اليه ولكنهم لم يعمدوا الى اخذه بالعنف او بصورة ربما جرحت عواطف المسيحيين بل انهم عرضوا عليهم بيعه ولما وافقوا على ذلك سلم المسلمون لهم مكانا آخر بنوا فيه كنيستهم. وهذا دليل واضح على تسامح الاسلام لا ندرى ماذا يقال عنه اذا قوبل باعمال الاسبانين مع المسلمين عند اقتكائهم البلاد.

وفي عام ١٢٣٦ م كان الجامع العربي الاعظم في تصرف النصارى يقيمون فيه طقوسهم الدينية وهو على حالته العربية ولم يصل عام ١٥٢٣ الاوقد خالجت القوم افكار شيطانية ضد الجامع فارادوا به سوء وحاولوا ان يهدموه كما فعلوا بجامع اشبيلية. ولكن البلدية لما سمعت بذلك غضبت وقامت قيامتها واستغاثت بالملك (شارلكن) الذي جاء في جانبها وهدد بالقتل كل من يمد يده للجامع الاعظم بدعوى « ان ما سيهدمونه يستحيل بناء شيء آخر مثله يضاهيه » غير ان المجلس الملكي تداخل في القضية ولام البلديه على تعرضها في هدم الجامع واصدر اوامره ليقع الشروع في اعمال التخریب كما سيأتي الكلام على ذلك.

هذه مقدمة بسطناها ونحن في طريقنا الى الجامع العربي الاعظم. وبما اننا الان وصلناه فلنتكلم عليه كما نراه.

ان الباب الذي سندخل منه هو احد الابواب العربية التي بقيت كما خلفها العرب ويعرف اليوم باسم - باب الباردون - كباب اشبيلية وبالْحَقِيقَةُ فهو شبيه به وفيه نفس تلك

النقوش التي كتب فيها « الملك لله وحده » غير ان غالبا مقلوب فاصبحت قراءتها صعبة حتى ان الناظر اليها من العرب يكاد يظن انها ليست بالكتابة العربية. والظاهر ان الاسبان كانوا يقتلعوا جميع تلك النقوش واخفوها ثم ندموا وارجعوها لامكانتها ولكنهم وضعوها كما شاعت الصدفة. وقد ادخلوا عليه - كما ادخلوا على نظيره -



باب الباردون - احد ابواب الجامع بقرطبة

تغييرات و اضافوا عليه اشياء من معتقدات النصارى افسدوا بها منظره العربي ايضا. وهو موصود لم اجده مفتوحا في يوم من الايام الثمانية التي قضيتها

بقرطبة والتي كنت اتردد فيها على الجامع مرتين على الاقل يوميا. ويظهر ان الحلقتين المشدودتين في الباب هما حلقتاه الاصليتان بدلت الكتابة العربية التي كانت منقوشة عليهما بكتابة اخرى بالحروف اللاتينية. وكذلك الكتابة التي كانت منقوشة على القوس. وقد فتحوا بجانبه بابا صغيرا جدا يدخل منه الناس الى صحن الجامع الذي يكثر فيه شجر البرتقال ايضا والذي اصبحوا يسمونه اليوم - صحن البرتقال -

صحن الضوء - او ساحة البرتقال



سبالد في صحن الجامع العربي بقرطبة - وعليها ثلاث فتيات يملأن قلالهن

وساحة الجامع ١٣٠ ميترًا وعرضها خمسة وخمسون وفيها ثلاثة أحواض كانت معدة للوضوء حوطوها اليوم بأسيجة من الحديد حتى لا يصل إليها أحد. ويوجد بالقرب من الحوض الكائن بالوسط جاية كبرى تعلوها أربعة أعمدة من البناء في كل عمود منها جنفية يصب منها الماء إلى الجاية ويملا النساء منها قلاهن المصنوعة من الفخار. ورغمما عن وجود المياه بكثرة في قرطبة فقد رايت الازدحام على سبالة الجامع كبيرا وقيل لي ان النساء يقدمن إليها من بقاع بعيدة في طرف المدينة الآخر لياخذن الماء منها تبركا بذلك المكان مما يدل على شدة اعتقاد القوم الديني.

وفي الصحن أيضا بضعة كراسي عمومية يجلس عليها الناس تحت ظلال اشجار البرتقال. ويكثر المتزهون في هذا الصحن بصورة أصبح معها اقرب إلى ساحة عمومية أو بستان عمومي منه إلى صحن جامع أو كنيسة. فهو لا يخلو من عائلات بصغارها ولا يخلو من ذلك الضجيج الذي يحدته الاطفال عادة عندما يجتمعون للعب حذو امهاتهم في الحدائق. وذلك يدل من جهة أخرى على ان نساء المدينة لا يزال الحياء عندهن موجودا ضرورة انهن يفضلن الزهة في صحن الكنيسة بعد القيام بفروضهن الدينية على الزهة في الاماكن العمومية اين يكثُر الخلط ويكثر المتشردون واصحاب الاخلاق الساقطة. وفي طرفي هذا الصحن مبالان عمويان لزم وجودهما نظراً لكثرة المتزهين والمتزهات.

المسجد العربي الاعظم

أخذت مطوفا يحسن اللغة الفرنسية من أولئك المطوفين الكثيرين الموجودين في صحن الجامع ودخلنا إلى المسجد من بابه المقابل للباب الصغير الذي كنت دخلت منه إلى الصحن. ولم نكد نجتازه حتى شعرت بشيء لم اكن احلم به ولم اكن انتظر ان اراه. فما تلك السواري. وما ذاك الاتساع وما تلك الغابة العظيمة. كما يعبرون عنها اليوم. التي ظهرت فيها تلك الاسطوانات الرخامية كانها اشجار النخيل والتي لا تحصى

ولا تعد. وما ذلك الابداع في تركيبها والتفنن في وضعها والاتقان في صنعها وتزييقها. كل ذلك يدخل الى عين الناظر دفعة واحدة فلا يتركه يفكر في ماضي الاندلس وماضي الاسلام مع التفكير في ذلك الذي يراه ماثلا امامه جسماً محسوساً دخلنا من ذلك الباب وقال لي المطوف بعد ان اجتزنانه انه احد الابواب التسعة عشر التي كانت تفتح الى الصحن والتي طمسوها كلها ما عدا ذلك الباب وباين آخرين بعيدين عنه احدهما على يمينه والاخر على يساره.

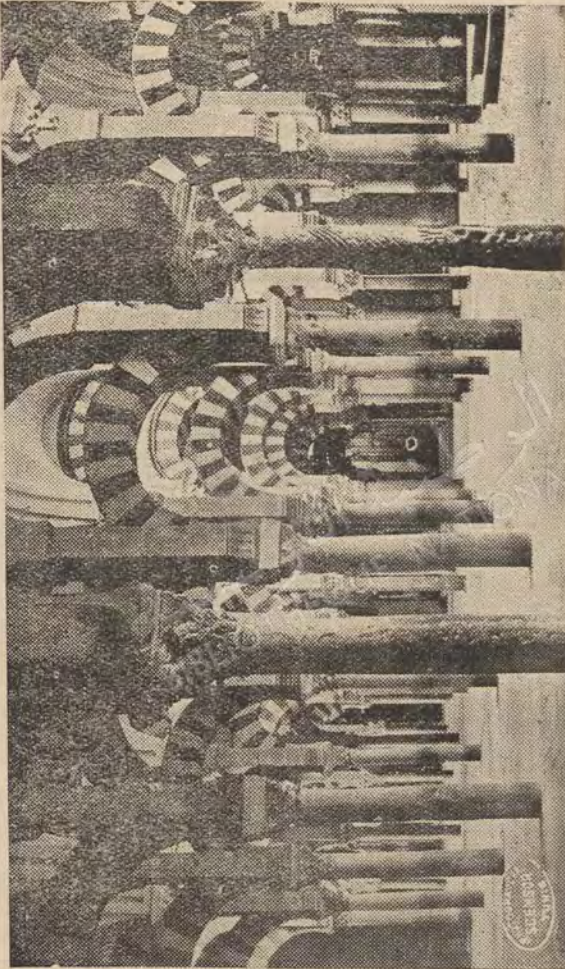
اما المشى الذي وضعنا فيه ارجلنا بعد ان اجتزنا الباب فهو المشى الوحيد الذي ابقوه على حالته الاصلية عند ما افتكوه من ايدي العرب ولم يغيروا فيه إلا سقفه حيث انهم ابدلوه بغيره نصا سواء واحتفظوا بالسقف القديم الذي هو اليوم معلق بالبرطال الكائن في صحن الجامع على يمين الداخل اليه.

وارض المسجد اليوم كلها من المرمم الذي وضعه الاسبان فوق ارضه الاصلية التي ابقوا شيئا قليلا منها حول بعض السواري غطوه باللوح يمكن للزائر ان يرفعه ليرى صورة من الارضية العربية للجامع قبل ابدالها. ويصعب التوصل الى تلك السواري بدون ان يستعين الانسان بمطوفه.

اما المسجد نفسه فطوله اليوم مائة وخمسة وتسعون مترا من الشمال الى الجنوب وعرضه مائة واربعة وثلاثون يشعر الانسان فيه بانه لا يزيد على حشرة حقيرة بالنسبة اليه ولا يحسب الناس بعضهم فيه إلا كاحقر الحيوانات اجساما. ولا يظهر فيه في صورة الجبار المتعظم إلا تلك السواري المرمية المختلفة اشكالها والوانها واطرافها وتلك الحنايا المزودة المقامة عليها وكلها شاحخة بانفها للسماء تظهر قوتها وجبروتها الى الرجل الضعيف الذي افنته الايام ولم تتوصل القرون لمسها باذى.

كان الجامع ايام العرب يحتوي على (١٤١٨) سارية. ولكن الاسبان عاثوا فيه فسادا وكسروا كثيرا منها بنوا في اماكنها البيع الصغيرة في جهاته الاربعة والكنيسة الجامعة في وسطه بين السواري الباقية وستتكم عن تفصيلها جميعا بعد قليل. اما السواري

التي لا تزال قائمة في عنفوانها الى اليوم فهي ثمانمائة وستون سارية (٨٦٠) كلها صحيحة

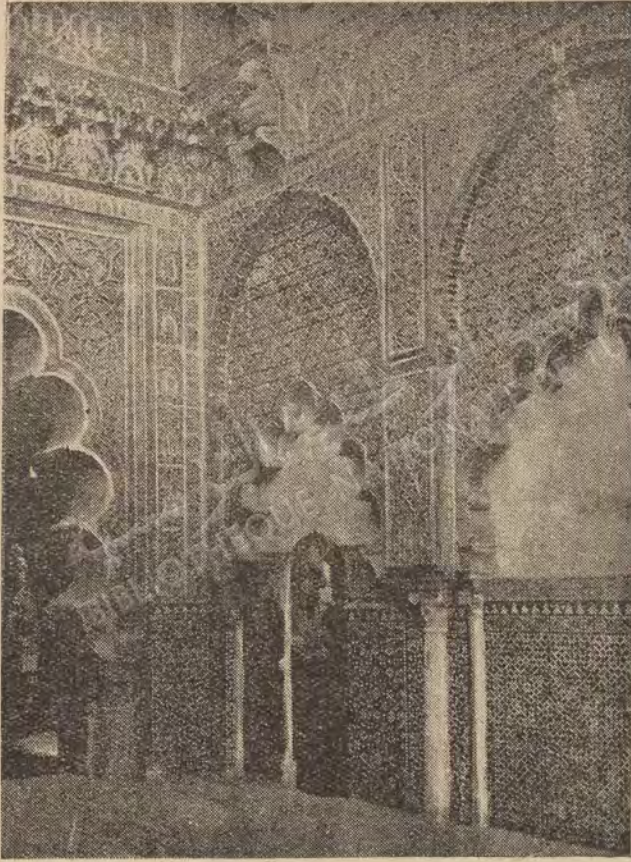


منظر من داخل الجامع العربي بقرطبه

كما خلفها المسلمون يوم خروجهم من المدينة مقهورين *

فلنتقدم في ذلك المشى الذي بدانا بالسير فيه ولنقف امام تلك البقعة البديعة الموشاة بانواع الجليز والفسيفساء التي تعترضنا في طريقنا وهي المقصورة التي كان يصلي فيها الخليفة ايام الجمعات والاعياد والتي اصبحت اليوم جزءا من الكنيسة حيث اضافوا

إليها بكل جراحة رغما عن كونها لا تتفق في شكلها مع أشكال كنائسهم ولو في شيء قليل وجعلوها في منطقة ذلك المعبد النصراني فزادوا بها قيمته الفنية على حساب الهندسة العربية والفن الإسلامي.



منظر من المقصورة بجامع قرطبة

لترك هذا المكان المؤسف ولنتقدم قليلا لنقف من جديد امام تلك السواري الممتازة القرية من المحراب ولنشبع ابصارنا بما احتوت عليه من تلك العقود العجيبة والنقوش العربية والفن البديع . لنقف امام تلك الاعمدة الرخامية الخلافة التي تأخذ

بمجامع القلوب والتي ليس من السهل ان يقف امامها المسلم بدون ان تدمع عيناه
وبدون ان يضيق صدره •



منظر السواري القرية من المحراب بمجامع قرطبه

نحن الان امامها وامام المحراب معاً وبنظرة واحدة يمكننا ان نشاهد المنظر كله
ولكن لنتمهل قليلاً ريثما نمتع اعيننا بهذه الاسطوانات العربية ولنقف بنعالنا - كما شاعت
الظروف - على تلك الارض التي كانت جباه اسلافنا تلاصقها بكل خضوع وبكل
خشوع • ولنطل الوقوف ما دمنا مسلمين نقرأ ما كتب عليها من الايات والعبر وما

حررته يد الزمان على صفحاته من العظات والدروس . واذا نحن انتبهنا من النظر اليها
واكتفينا من تأملاتنا الغامقة جاز لنا ان نحول انظارنا الى اعظم شيء في هذا المسجد .
الى المعجزة العربية في ذلك المكان وفي غيره . الى المعجزة الاسلامية - في هذا المسجد
وفي غيره من المساجد ... الى المحراب .

*** (محراب الجامع العربي بقرطبه) ***

على يمينه وعلى يساره بابان صغيران هما بابا المقصورة . وبيت المنبر من غير ادنى
شك وكلاهما عبارة عن قوس كبير مرتفع على الباب الحقيقي وهناك سطر من الكتابة
العربية يتمشى مع تلك الدائرة وهذا السطر مجعول من الكتابة البارزة المذهبة على
بساط اكحل . وفي اعلا القوس نافذة مربعة يحيط بها من جهتيها ومن اعلاها سطر
من الخط العربي الكوفي مذهبا على بساط احمر واسفل هذه النافذة يوجد القوس الاعلى
للباب الذي هو مربع وفي قسمه الاعلى نقوش بديعة يحيط لها سطران من الخط الكوفي
يتندي كلاهما من اسفل اليمين الى اعلاه ثم يتمشى على عادة الكتابة العربية من اليمين
الى اليسار حتى اذا وصل الى آخر السطر انحدر من اعلا اليسار الى اسفله . والسطر
الاول بخط مذهب على بساط اسود والثاني مذهب على بساط احمر . وفي اسفل السطر
الثاني يوجد قوس الباب الحقيقي وتحيط به ايضا كتابة عربية بالخط الكوفي المذهب
على بساط اكحل . والباب الكائن على يمين الواقف امام المحراب مفتوح دائما وعليه
ستارة بيضاء مسدولة كما هو الحال امام حوائت الخطاطين على الرمل بباب البنات
بتونس . اما الباب الاخر الذي على يسار الواقف فهو موصود . وكل من قوسي البابين
المذكورين مركب من خمسة عشر قطعة رخامية تختلف عن بعضها في النقوش وفي
الالوان ولو ان الراعي يمكنه قسمتها الى نصفين سبعة رخامات ونصف من جهة ومثلها
من الجهة الاخرى بحيث ان سبعة على اليمين يقابلها سبعة على اليسار والرخامة الخامسة
عشر نصفها الايمن يرجع الى الوان اليمين والنصف الايسر الى الوان اليسار
اما المحراب نفسه فهو عبارة عن قوس كبير مركب من تسعة عشر قطعة رخامية

كبرى تسعة رخامات ونصف على اليمين ومثلها على اليسار كما سلف في التحدث عن قوسي المقصورة وبيت المنبر . وقد الفت المطوف نظري الى ان الذي ينظر اليه من جهة



منظر المحراب للجامع العربي بقرطبة

اليمن يرى اشكالا والوانا لا يراها الناظر اليه من جهة اليسار . وقد كدت لا اصدقه لولا انني تحولت من الجهة التي كنت انظر اليه منها الى جهة اخرى . والحق اني رايت في موضعي الحديد اشكالا وتقوشا والوانا جديدة لم اكن اراها عند ما كنت في المكان السالف . والغريب اني الان لم اعد ارى ما كنت اراه سابقا قبل ان انتقل من مكاني .

وهكذا بقيت اتردد من هنا لهنالك كاني رقاس ساعة وانا اكاد اعتقد اني لا انظر الى شي واحد امامي وانما انا انضر الى شئين مختلفين عن بعضهما كثيرا كلاهما في مكان بعيد عن مكان الاخر. وذلك ما اوقفني خاشعا امام تلك الهندسة العربية البديعة ومتحسرا على ضياع تلك الذخائر من حوزة المسلمين ومتوجعا لتلك الامور الصبائية التي آلت لخراب الجزيرة ولخروج العرب منها على تلك الصورة التي حكمها لنا التاريخ.

ذلك ما يخالج ضمير كل عربي وقف في ذلك الموضع فيما اذن. ولكن لنتماد في اطلاعاتنا وبحوثنا ولنحول ابصارنا الى قبة المحراب - او القبة المرتكزة على المربع المتكون من حائطه والسواري المقامة امامه.

هناك في ذلك المربع وفي اعلاه ثمانية نوافذ صغيرة هي عبارة عن انصاف دوائر وقد طمست اليوم ولم ينزل ظاهرا الا آثرها. وفوق تلك النوافذ توجد القبة التي يمكن للناظر ان يحكم بانها ادهش شيء في ذلك المحراب. واول ما تبدي القبة باستدارة مركبة من ثمانية اهلة او اقواس كل واحد منها تنتهي طرفاه في وسط الهلالين اللذين على يمينه ويساره. والاهلة كلها مجعولة بصفة كان معها اعلاها اضيق من اسفلها تمهيدا للمكان الذي يجب ان ترتكز عليه القبة عينها المصنوعة من الرخام. واذا قلنا انها رخامية فلا يذهب في ذهن القاري انها عبارة عن عدة قطع الصقت لبعضها بل هي قطعة واحدة من الرخام نقشت باتقان بديع وعلقت في مكانها الحالي. ولا يتوهم الانسان انها صغيرة الحجم يمكن لكل الناس ان يهيئها بكل سهولة بل هي قبة يكفي ان اقول بان طول دائرتها يساوي نيفا واربعة امتار وعمقها - اي المكان المحفور منها - يساوي مترين وثلاثة وعشرين صانتيما. وهذه الرخامة التي هي عبارة عن القبة قد فصلت فيها ثمانية اقواس طرف كل واحد منها يتجه الى الاعلى وينتهي الى آخر نقطة في اعلا القبة. وبين كل قوسين منها مثلثان صغيران احدهما فوق الاخر بصورة يتصل معها اسفل ضلعي المثلث الاعلى باعلى ضلعي المثلث السفلي بحيث

انهما معا عبارة على رقم (٤) قد فتح جناحها اكثر من المعتاد. وفي اسفل القبة كتابة عربية لم اتوصل لقراءتها لبعدها من جهة ولصغر حجم حروفها من اخرى.



قبة المحراب بجامع قرطبه
اما الساحة الكائنة امام المحراب والمركز عليها المحراب فهي ذات ثمان
جهات طول دائرتها ٩٦٢ متر وارتفاعها الى نهاية القبة ٧٦٦ متر.

ويقولون ان هذا الموضع كان يحتوي على مصحف قرآن مكتوب بالذهب ومزدان بالجواهر واليواقيت عليه بعض نقط من دم الخليفة سيدنا عثمان بن عفان الذي كتبه بيده. ويقولون ايضا ان نصف هذا المصحف ضاع في البحر ونصفه الاخر لا زال بالمكتبة المملوكية في سان بترسبورغ الى يومنا هذا.

وهناك اليوم سياج امام المحراب وعلى جانبيه يمنع الزائرين من لمسه او حتى من الوصول اليه حرصا عليه من ان تعبت الاصابع البشرية بما بقي فيه من آيات الفن والجمال وخوفا عليه من ان تمتد اليه تلك الاصابع لتقتلع ما يمكنها اقتلاعه من الحروف العربية او التزويق البارزة. ولا يسمح بالدخول اليه الا لمن يدفع معلوما فيدخله صحبة الحارس الذي يقوده اليه من المكان الذي تباع فيه تذاكر الدخول. وليس علينا ان نلومهم على ذلك اذا نحن قارنا هذا العمل بما عملوه قبل اليوم من اقامة جدار كامل حججوا به المحراب بتمامه عن الانظار... ذلك الجدار اللعين الذي لم يهدموه الا بعد ان تقطنوا الى جنائهم الفظيعة وبعد ان سمعوا من القادمين عليهم بقصد السياحة كل لوم وعتاب.

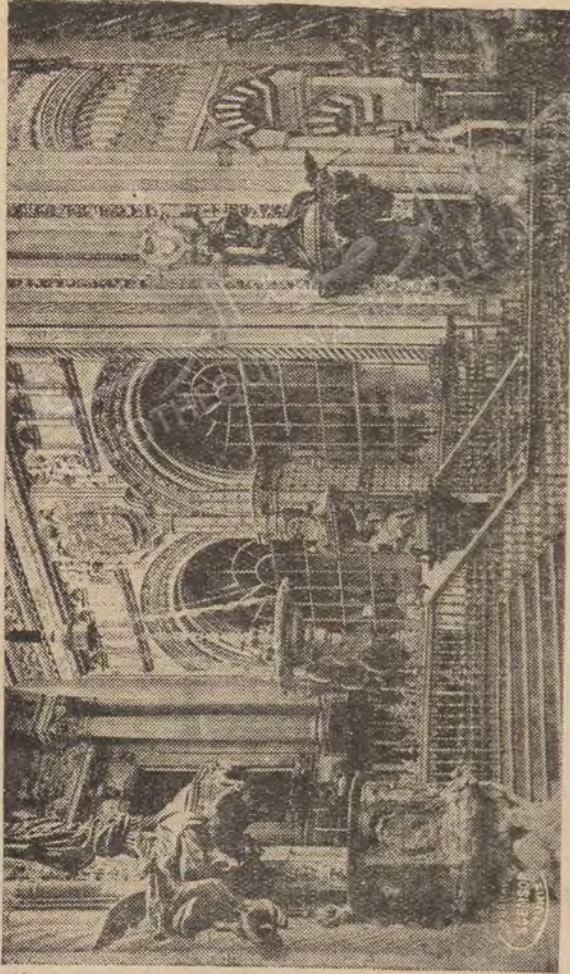
اما الخراب الذي اعترى هذا المحراب العجيب من عدم الاهتمام به والنقص الذي تسلط على نقوشه وروعتهما وعلى حروفه وجمالها فذلك ما نتركه للقراء يستخرجونه بانفسهم اذا هم فكروا فيه قليلا.

هذا ما امكنني ان اقله عن محراب الجامع الاعظم بمدينة قرطبه ولو اني اعتقد ان ليس في استطاعة الانسان وصفه بصفة تغني من لم يره عن رؤيته وان تجعله يتصوره بمجرد قراءة اسطر او صفات كتبت عليه.

فلننتقل منه اذن ولنبتعد عنه قليلا راجعين الى الورا لنزور الكنيسة التي اقاموها بين السواري القائمة في مكان ما هدموه منه كما اسلفنا.

بدا الاسبان اعمالهم بان هدموا مائة وثلاثة وستين سارية هي وجميع الاقواس المقامة عليها. وفي ذلك المكان العربي المقدس شرعوا يبنون كنيستهم النصرانية

التي اسسها الكاردينال (سالازار) والتي اطلقوا تليها اسم (بيعة شارلكان) لانها بنيت في عهده ولو ان الكاردينال لم يغمط حقه بالمرّة في هذه المؤسسة الدينية فاعطوا اسمه لسارية فيها وهي القرية من (بيت الكنز) ذلك البيت الذي يحتوي على عدة اشياء ثمينة منها عدة صلبان ذات قيمة ثمينة راجعة الى تواريخ مختلفة ويقولون ان اشياء كثيرة اخرى ضاعت منها اثناء حروب الاستقلال الاسباني الداخلية .



منظر من الكنيسة الكاثوليكية بسجدة قرطبة

ونحن لا يسوغ لنا ان ننكر الحقيقة ولا نعترف بعظمة تلك الكنيسة الجامعة فهي

ذات قيمة فنية كبرى - ولماذا لا تكون كذلك وكل ما فيها يرجع الى اعمال اناس لهم شهرة عظيمة في عالم الفن منهم « جيزي ماتيو الونصو » و « بيارديك كورنيجو » وغيرها . ولكن انى لها مع ذلك ان تضاهي عظمة الجامع وهي في وسطه لا تكاد تظهر إلا كالبیت الصغير . وعندى ان بناءها في هذا المكان قد نقص من قيمتها كثيراً . ولولا ذلك لما قال « جوسيه » بانهم « لو اقاموها في مكان آخر لكان لها شان واي شان أما هنا فهي بشعة لا قيمة لها زيادة عن كون الذين بنوها قد احدثوا بها ضررا فادحا على بناء لا نظير له في العالم . »

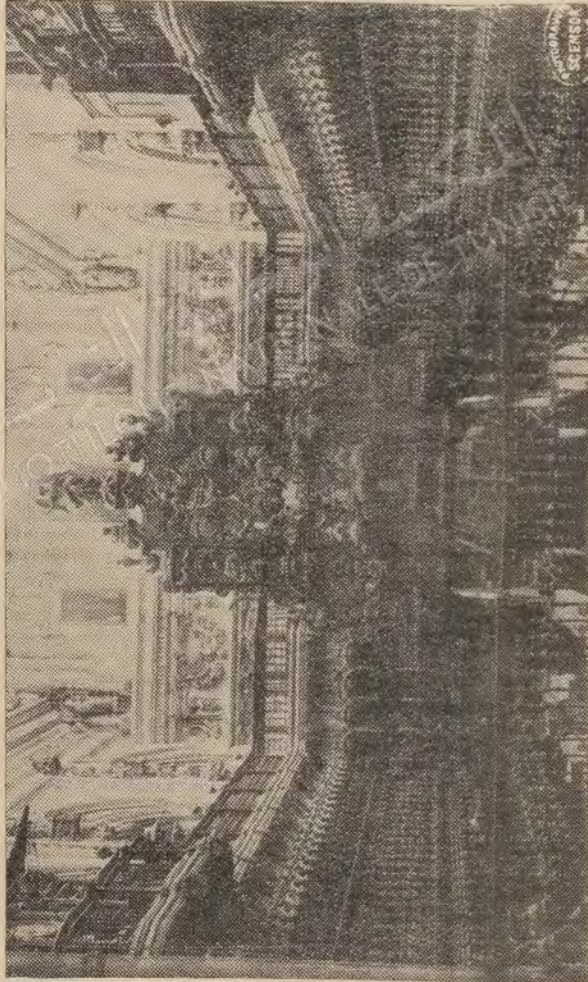
وقد دخلتها ونظرت ما فيها من جمال الفن الواضح في جدرانها على الخصوص وان انس فلا انسى تلك الخصومة التي وقعت بيني وبين بعض الرهبان الذين تقدموا نحوي فيها يريدون مني ان ارفع طربوشي وان اكون فيها حاسر الراس كما توجبه طقوسهم الدينية . على ان النصر في هذه المعركة كان بجانبهم وقد استسلمت لرادتهم قهراً حتى لا احرم من الاطلاع على الكنيسة « الشارلكنية » وعلى ما فيها .

واذا كانت البيعة الكبرى لا تهمننا نحن المسلمين كثيراً فان الذي يهمننا اكثر من الكثير هو جدارها الغربي من الخارج وقد سميناه جدارها ظلمنا والا فهو جدار المقصورة العربية التي اضافوها الى الكنيسة كما تقدم .

فهناك في هذا الجدار رخامات كثيرة معلقة ... او ملصقة فيه على الاصح ... بعضها بالخط الروماني وبعضها بالخط العربي . والرخامات العربية ثلاثة احداها كبرى بالخط الكوفي في الوسط وعلى جانبيها الرخامتان الباقيتان بالخط الثلثي . وها انا اجعل قراءى يقفون معى امام الرخامة الكبرى لعلنا نتوصل الى ما جاء فيها . فلنقرأ

« بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاتم النبيين وسلك المرسلين وسلم عليه في العالمين بامر الامام عبد الله الحكم المستنصر بالله امير المؤمنين ولي عهده وخليفته على عباده الحافظ لخدمته والواقف

عند حدوده والشاكر لنعمته اطل الله بقاءه في اتم كرامه واعم سلامه واكبر سرور
 فتتمت بعون الله وقوته على يدي عبد الرحمان رضي الله عنه
 في سنة ثمان وخمسين وثلاثماية والحمد لله رب العالمين » والنقط في بقاع اندرس الخط
 فيها فلم اقدر على قراءتها .



منظر آخر من الكنيسة الكائنة بمسجد قوطيه

اما الرخامة التي على يسار الناظر فهي عبارة عن قبرة وهذا ما كتب في سطرها
 السابع « هذا قبر القائد الرفيع الطاهر الماجد المجاهد ابن النعيم رضوان ابن القائد

الاعز الاظهر المجاهد ابي النصر فتوح ابن القائد الماجد الاعلى ابي السرور كان رحمه الله « الخ ٠٠٠ وفي آخرها تاريخها هكذا » الرابع عشر لمحرر عام خمسة واربعين وثمان مائة »

فلنخرج الان من الكنيسة لتلقي نظرة بسيطة على تلك البيع الصغيرة التي احدثوها في جميع جهات المسجد بعد ان كسروا السواري التي كانت واقفة في البقاع التي احتلتها وهي عبارة عن ٣٧ بيعة تسعة منها في الواجهة الغربية وستة في القبلة واحدة على يمين الواقف امام المحراب وخمسة على يساره الرابعة منها تحتوي على مجلدات ضخمة تخص اعمال الكنيسة و ١٢ في الواجهة الشرقية و ١٠ في الشمالية .

واذا نحن انتهينا من الاطلاع عليها جميعا فقد انتهينا من الاطلاع على كل شيء في المسجد ولم يبق لنا الا ان نغادره من غير ان نحاول رؤية ما حكاها لنا التاريخ واعلمنا بوجوده فيه مثل تلك الثريات التي كانت تقارب المائتين وقناديلها التي كانت تنريد عن الثمانية آلاف . ومثل تلك النوافذ التي كانت العين ترتاح الى اضوائها الهادئة والوانها المختلفة واشكالها المتغايرة . فلقد فقدت تلك الثريات كلها حتى الثرية الفضية التي كان يطلق عليها اسم (ثرية المفتي) . ولم يبق من النوافذ (١٢٥) حسب قول المطوف الا نافذتان ليس الا ويمكن للزائر ان يراها في اعلى البابين الكائنين على يمين المحراب ويساره وهما . بعبارة اخرى - باب بيت المنبر وباب مقصورة الامام . وتمثل هاتان النافذتان حسن الصنة وجمال الذوق فانهما كلهما من الخشب الرفيع اعوادها داخلية في بعضها بصورة يتركب من مجموعها شكل عجيب .

هذا كل ما امكنتني ان اقله عن الجامع الاموي في قرطبه ولعل فيه الكفاية . فلنخرج منه اذن مع ما في انفسنا من الحسرات والتاوهات وما بين جوانحنا من الالام والتوجعات لنخرج الى صحن البرتقال الذي دخلنا منه الى المسجد لترتاح قليلا على احد الكراسي نترك لخيالنا فرصة يذهب فيها حيث يشاء . ولننقم

بعد ذلك من مجلسنا الى باب صغير قريب منا نصعد منه الى صومعة الجامع.

صومعة الجامع الاموي



لا يشك الناظر الى صومعة جامع قرطبه من اول نظرة يلقيها عليها ان هناك تغييرات وقعت فيها. حتى اذا دخلها ووصل الى اعلاها استحال شكه ذلك الى يقين بل ربما اعتقد. كما هي الحقيقة. ان هذه الصومعة ليست الصومعة العربية وانما هي صومعة

اخرى اقيمت على انقاضها بعد ان هدمت الاولى تماما عام ١٥٤٣. وعلى كل حال فلنصعد اليها ولنحدث عنها بصفتها صومعة الجامع العربي الوحيدة وكفى.

هي عبارة عن بناية عظيمة ومرتفعة طول كل ضلع من اضلاعها المربعة اثني عشر مترا وكلما ارتفعت ضاقت. اما علوها فهو ثلاثة وتسعون مترا ولها خمسة طيقتان و ٢١٢ درجة. وقع الشروع في بنائها على يد (هيومان رويس الاصغر) عام ١٥٩٣ م. ولم تنته الا سنة ١٦٥٣ بحيث ان المدة التي لزمت لبنائها كانت ستين عاما كاملة.

صعدت اليها ولما اجتزت ٦٤ درجة وجدت بابا موصودا طرقته ففتح لي وتماديت في طريقي الى نهاية ١٤١ درجة حيث كنت على الطاق الثاني وفي كل جهة من جهاته ثلاثة نواويس كبرى وتماديت الى الدرجة ١٧٠ حيث يوجد الطاق الثالث وفيه تجتمع اطراف جبال النواويس جميعا. وتماديت الى الدرجة ١٧٢ اين الطاق الرابع الذي يوجد فيه جرس عظيم جدا يظهر انه غير مستعمل. وتماديت الى نهاية الدرجة ٢١٢ الاخيرة التي تنتهي الى الطاق الخامس الذي كنت اشعر فيه بريح وبرد لم اعهده اني رايت نظيرهما في حياتي. فنزلت حالا وانا اردد « الله لطيف » على لساني الى ان وصلت لذلك الباب الموصود اين تلقاني طفل صغير اخذ ينادي اباه ويصيح خوفا من خروجي قبل ان اعطيهم شيئا. وما هي الا هنيهة حتى اقبل الوالد في ثياب يكاد يظهر فيها نصف عريان ومد لي يده لياخذ مني (دورو) اي خمسة وعشرين فرنكا... ولكن انى له ان يغالط السواحين والارشادات التي بين ايديهم لا تلزمهم بأكثر من خمسين صانتيما من باب المجاملة. وهكذا رميت له ذلك القدر الزهيد ونزلت وتركت يفرق ويقول كلاما لزوجه لا يبعد ان يكون سبا وشما. نزلت وانا العن هذه العائلة الشريرة وتلك الاخلاق الشرسة التي رايتها فيها. نزلت من الصومعة وفي اعتقادي اني اتممت اعمالى ولم يبق لي الا ان القى النظرة الاخيرة على هذا الجامع الاعظم من خارجه لارى ما ذا صنع الزمان به بعد اهله وذويه ولارى ما بقي من ابوابه العديدة.

ابواب المسجد الاموي

قال لي المطوف ان الجامع الاموي كان له سبعة وخمسون بابا. تسعة عشر من جهته الشرقية يفتح بعضها للصحن وبعضها للمسجد. ومثلها من جهة الغربية. ومثل ذلك العدد نفسه كان المصان يدخلون منها من الصحن الى بيت الصلاة. اما اليوم فلم يبق به من الجهة الشرقية الا تسعة ابواب سبعة منها للمسجد واثان للصحن. ومن الجهة



ابواب الجامع العربي بقرطبة من الخارج

الغربية ثمانية ابواب فقط ستة منها للمسجد واثان للصحن. ولقد بقيت غالب هذه الابواب - من فضل الله - على حالتها العربية القديمة لم يمسه ايدي الرهبان بسوء ولو انها لم تسلم من الرياح والامطار والزواجر التي مدت اليها اصابعها المسمومة فاحدثت فيها تغييرات وفسادا لم تكن لتصيبها لو كان للقوم نوع عناية بها ولما كانهم اهملوها حتى تطرقها الفساد وكاد ياتي حتى على تلك الكتابات العربية والايات

القرءانية التي لا تزال ظاهرة عليها مثل « بسم الله الرحمن الرحيم » ومثل « يذكرون الله قياما وقعودا .. الخ » التي توصات الى قراءتها على ابواب الواجهة الشرقية ضرورة انها لا تزال محفوظة من كوارث الزمان اكثر من ابواب الجهة الاخرى التي عاثت فيها القرون الطويلة فسادا بصورة نحن لا نخاف منها عليها ولكننا نخاف ان تاتي على البقية من جمالها السحري ومن رونقها العجيب الظاهرين في الصورة التي رسناها لها مع هذا الكلام.

على ان اوليك الرهبان المتعصبين لم يسمحوا بان تبقى تلك الابواب العربية عربية صرفه. واذا نحن رايناها لم نغيروا اشكلها لاسباب لا ندرها فاننا نراهم من جهة اخرى يعمدون الى اسمائها العربية فيحكموا عليها بالاعدام ليضعوا في امكنتها اسماء جديدة ومن تلك الاسماء باب « الكنيسه » وباب « الباردون » المتقدم ذكره وباب « كانو كوردو » وهذا الاسم في الحقيقة اسم لسبالة صغيرة لجانب هذا الباب امر يجعلها في ذلك المكان كبير الاساقفة اذاك المسمى « جان دازا » وباب « دي لالشي » اي باب الحليب وهو واقع في الجدار الغربي ولا باس بان يعمل الانسان جهده ليلقي عليه نظرة طويلة لانه جدير بذلك. وباب « دي دوايان » وهو قبالة « السانت كاترين » ذو شكل عربي صرف عليه نقوش وكتابات عربية كثيرة كانت محجوبة عن الانظار عمدا ولكنها ظهرت اخيراً.

اما جمال هذه الابواب الباقية وقيمتها الفنية فلا اراني ملزوماً بشرحها. ولقد حاولت ان اقف امامها واشد قلبي واكتب ما اراه ولكنني عدلت عن ذلك فرميت القلم العاجز واخذت مصوري (الصادقة) التي تنقل كل شيء بكل صدق وأمانة فوجهتها الى احد تلك الابواب الشرقية وها انا وضعت الصورة امام عين قرامي ليروا بانفسهم شيئاً محسوساً وليقتنعوا بذلك اذا كانت الظروف لم تسمح لهم بالتجول والارتحال

والظاهر اننا الان قد انتهينا من الاطلاع على الجامع العربي الاعظم - او على البقية الباقية منه على الاصح - وقد سهل علينا ان نغادره الى البقاع التي ارشدتنا (الليانتيمانتو)

لزيارتها. وبما اننا بالقرب من القنطرة العربية المقامة على الوادي الكبير فلنذهب اليها.

القنطرة العربية والقلعة الحرة

هي القنطرة العظمى وهي احدى الامور الاربعة التي فاقت قرطبه بها الامصار كما جاء في الشعر العربي. وهي واقعة في المكان الذي كانت به قنطرة رومانية اقيمت قبل مجيء العرب بنحو مائتي عام. ولكن هذه القنطرة لم تكن لتقاوم

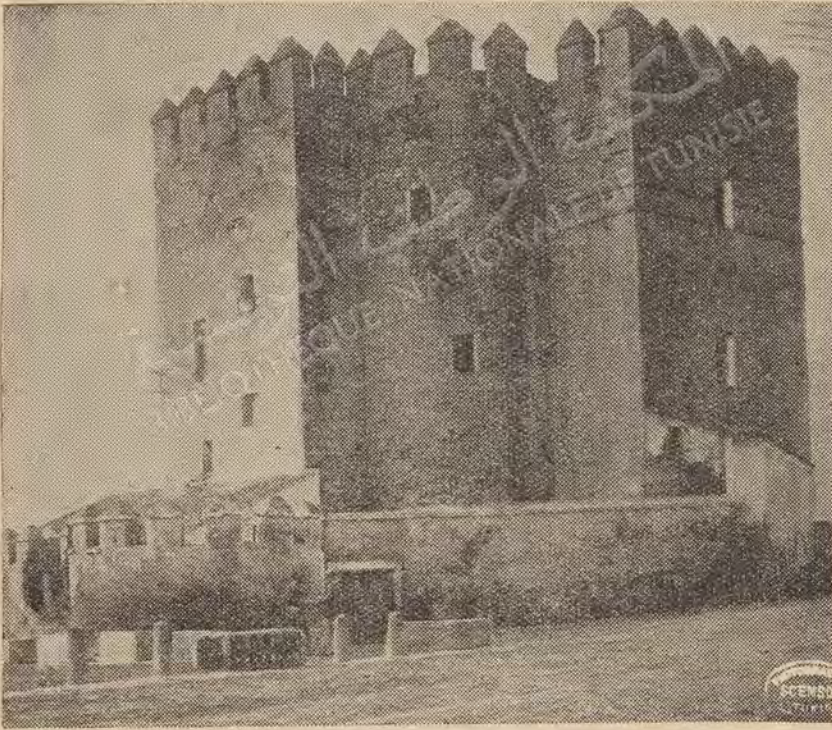


منظر القنطرة العربية بقرطبه

تيار (الوادي الكبير) ولم تستطع ان تقوم في وجهه او ان تحفظ نفسها امامه. وما هي الا عشية او ضحاها جتى استسلمت اليه وسلمت نفسها فاصبحت هباء منثورا. ولما قدم العرب وجدوها مهدمة تماما فجدد بناءها الملك السمع حوالي عام ١٠١ من التاريخ الهجري (٧١٩ م) ثم زاد في قوتها الملك هشام عام ٧٩٣ وهي الى اليوم لا تزال كان هذا الملك العظيم ينظر اليها بمجرد الفراغ من بنائها بدون ان تتأثر ولو شيئا قليلا لا من قوة المياه ولا من صروف الزمان.

فلنذهب إليها اذن ولكن لنقف قبل الوصول امام (باب القنطرة) المؤدي إليها ذلك الباب الضخم الذي بناه الفنان (هيرنان رويز) على طريقة زميله الفنان (جوان هيرارده) الشهير.

ثم ها هي القنطرة بالقرب منا فلنعجل لنقف امامها - هي رمز العظمة - وهي عنوان القوة - كلما زاد الانسان في النظر إليها خيل إليه انه يسمع صدى جدران العظام يردد ذلك الفخر الماضي وتلك الايام السعيدة التي مرت عليهم في تلك الربوع



منظر القلعة الحرة بقرطبه

وهي مركبة من (١٦) قوساً طولها (٢٤٠) ميترأ وعرضها (٦٠) وفي وسطها تماماً تمثال «سان رافيل» من صنع الفنان «برنابي قومين» وضع في هذا المكان يوم ٢٠

من سبتمبر عام ١٣٥١ عند انتهاء داء الوباء الذي اصاب المدينة في ذلك التاريخ لانهم يعتقدون ان بركات ذلك الولي هي التي رفعت عنهم ذلك الوباء

وفي منتهائها تماماً توجد بناية ضخمة عليها الطابع العربي باتم معناه بناها العرب حصناً يدافعون به على المدينة - غير ان هناك تغيرات بسيطة لم تفسده تماماً من حسن الحظ - ادخلت عليه في عهد «هانري الثاني» وقد وقفت امامها وحاولت الدخول فلم افلح وقيل لي انها اليوم لم تبق للغرض الذي خلقت لاجله ولكنها استحالَت الى دار بسيطة تسكنها فرقة من اعوان الجندرمه الاسبانية - وقد اكتفيت بالنظر اليها وربما اغناني رسمها المنشور مع هذا الكلام عن التحدث عليها وعلى ضخامتها وقوتها والسواعد العربية المتينة التي رفعتها

❦ اماكن اخرى جديرة بالزيارة ❦

وهناك - غير المواضع التي مر ذكرها - عدة اماكن اخرى يحسن بالعربي الذي تساعد الظروف بزيارة الاندلس - ان لم اقل يتحتم عليه .. ان يسعى في زيارتها . وها انا اتعرض الى البعض منها باختصار

قصر فيجو - او القصر القديم : هناك بالجنوب الشرقي من المدينة حارة كبيرة اطلقوا عليها هذا الاسم وهم يقولون ان الرومان احدثوا فيها حصناً عظيماً للمدينة ثم زاد الغوط في تقويته وتجميله بدون ان يجردوه من ثوبه الحربي واخيراً ادخل العرب عليه تحسينات اخرى صبروه بها لاثقاً بان يكون مسكناً للخليفة ولما افتكت المدينة من ايدي العرب خرب ذلك القصر وتهدم واخذ الناس ما تساقط منه من الحجارة وبنوا بها ديارهم التي كونت تلك الحارة كلها

مقبرة الشهداء . وبالتقرب منه توجد مقبرة الشهداء وهي تضم اجسام النصارى الذين ماتوا في الحرب التي وقعت بينهم وبين المسلمين .

الماكينه المائية . وهناك على ضفة الوادي الكبير كانت توجد آلة (مأكينة)

وضعها العرب يجلبون بها الماء من الوادي الى البساتين التابعة للقصور - ولا سيما القصر الذي اصبح اليوم سجنا - ولكنها كسرت بايدي النصارى انفسهم لا انتقاما من العرب ولا من مخلفاتهم ولكن كسروها لانها كانت اثناء عملها تحدث تشويشا كبيرا قلقت منه الملكة (ايزابيت الكاتوليكية) عندما كانت تجتمع بالملك (دون فرديناند) ليحضرا الخطة التي سيسيران عليها لافتكاك غرناطة .

مستشفى الامراض المزمنة . هو في الحقيقة لا يهم العربي بحال من الاحوال لانه مثل سائر المستشفيات في العالم بناه الكاردينال (سالازار) ولكن الذي يهمنا كثيرا هو المكان الواقع فيه فهم يقولون انه كان موضع قصر الملك المنصور وما ادراك ما الملك المنصور ولو اننا لا نكاد نصدق بذلك ويمكنا الاعتقاد بان القصر لم يعدم وانما استحال الى مستشفى ليس الا وذلك بدليل وجود تلك النقوش الجميلة على جدرانه وتلك المقرصات البديعة التي تخيل للناظر اليها انه في قصور الحمراء .

باب المظفر . هو الباب الذي كان يفتح على حارة اليهود وقت الاستيلاء العربي وبجانيه شيء قليل من بقايا الصور الذي كان يحيط بالمدينة ولعله الباب الوحيد الذي بقي على الحالة التي كانت عليها ابواب قرطبة في ايام العرب . ويظهر عليه انهم يعتنون به كثيرا .

كنيسة سان لورازو . هي اضخم الكنائس الاربعة عشر التي اسسها (فرديناند الثالث) بقرطبة بعد افتكاك المدينة من ايدي العرب ولكنها هي الوحيدة التي تهمنها زيارتها اذا امكن وذلك لان فيها بقايا صومعة يقولون ان احد ملوك العرب امر بهدمها مدة استيلائهم على المدينة

كنيسة سان بول . وهذه ايضا ربما كان في التعرض اليها بعض الفائدة لانها جعلت تذكارا الى يوم افتكاك قرطبة من ايدي المسلمين وهو اليوم التاسع والعشرين من شهر جوان وهذا اليوم هو يوم عيد (سان بول) الذي سميت الكنيسة باسمه .

الحمامات العربية. كانت قرطبه وقت العرب تعد ما يقرب من الف حمام كلها على غاية الجمال والنظافة ولكن لم يبق منها اليوم الا اثنان فقط احدهما كاين في نهج «كارلوس رويو» رقم ٨ والثاني في نهج «سيسيديس» رقم ٥ وقد اردت الاطلاع عليهما فبحثت عن النهجين وتوصلت الى الرقيمين ولكن انكر سكان احدهما وجود حمام وانهما لم يفهموا ما قلت لهم واقتبلني سكان الاخر بكل بشاشة ولطف وادخلوني الى الحمام ولكنني لم اكن ارى الا بيتا صغيرا هو اليوم اقرب ما يكون الى بيوت (المطاهر) الموجودة في حمامات تونس في الوقت الحاضر.

هذا وهناك عدة اماكن اخري اعتاد المطوفون ان يذهبوا بالسواحين اليها وهي وان كانت تهم النصرى فانها لا تهم المسلمين كثيرا. ويستعمل بعض اوليك المطوفين كثيرا من الخزعبلات مع السواحين فانهم يطوفون بهم المدينة شرقا وغربا حتى اذا وصلوا الى جهة وكان فيها موضعان يجب زيارتهما معا في وقت واحد امكنوا بزيارة احدهما فقط وذهبوا الى جهة اخرى من المدينة ليزوروا مكانا آخر هناك ثم عادوا الى الجهة الاولى ليكملوا الاطلاع على المكان الثاني وهم بذلك يحاولون اما جلب المنافع الى زملائهم اصحاب العربات او انهم يريدون ان يظهروا لاولئك الزائرين المشقة التي يكابدونها في سبيل اطلاعهم على كنوز المدينة وليضيعوا عليهم الوقت فيصاحبوهم يومين عوض يوم واحد او ثلاثة ايام عوض يومين.

ولذلك فالاحسن بنا نحن المسلمون ان لا ندع انفسنا في ايديهم يذهبون بنا الى حيث يشاؤون.

وبما ان البقاع التي تعرضت اليها في رحلتي هي الجديدة بالزيارة فاني انصح من يتقف عليها ان يطلب من مطوفه ان يسوقه اليها وبذلك يمكنه ان يقتصد اموالا كثيرة عوض ان يصرفها في امور لا تجديه نفعا

بقيت لنا الان كلمة نقولها عن المدينة كما هي اليوم وبعض ارشادات نسوقها لمن

يكتب الله له زيارتها تخفيفا من الالاعاب التي لا يمكن لاي مسافر ان يخلو منها .
فقرطبة واقعة على ضفة الوادي الكبير مرتفعة عن سطح البحر ١٤٠ ميترًا . وهوؤها
معتدل جدا والحرف فيها وقت الصيف لا يكاد يطلق . واحسن زمان لزيارتها هو الربيع
ولاسيما شهر مايه وعدد سكانها اليوم ٧٣٧١٠ نسمة بالتدقيق . والقادم عليها من الشمال
الافريقي لا يكاد يظن ان هناك فرقًا بينها وبين عواصم بلاده . فانها من الداخل ضيقة
والطابع العربي لا ينال ظاهرا على غالب الديار فيها . وهي شبيهة بديار اغنيائنا
ولو انها تمتاز عليها بالنظافة المتناهية وبالترتيب الجميل وتلك البساتين الصغيرة التي
لا تكاد تخلوها منها دار من تلك الديار . ولقد شاهدت بنفسي السكان لا يكتفون
بمسح قاعة منازلهم بل يعمدون الى غسلها بالصابون ولا يقلعون الا اذا تحققوا ان تلك
الارض التي سيمشون عليها بنعالهم بعد ربع ساعة قد صارت تشع من شدة النظافة .
وقد دخلت الى بعض الديار ولم اكن اشعر بادنى مضايقة اجلبها الى السكان
بسبب دخولي بل كنت اراهم يتجهجون لقدومي لانهم يـكونون قد عرفوا ببجرد
رؤيتي انني عربي - والفضل في ذلك يرجع لطربوشي - فيمشون في وجهي
ويحيطون بي ويدخلونني بيوتهم وكم كانوا يتعجبون عندما يقدمون لي بعض
انواع الكحول فامتنع من شرايها معتذرا اليهم .

وقد جرأني هذا الاحترام الذي لاقيته بسبب احتفاظي على لباس راسي العربي
واعتمدت عليه ودخلت عدة ديار كنت اقابل فيها بكل بشاشه واکرام فعرفت حياة
العائلات ورأيت بنفسي ذلك الحياء الذي لا تزال نساؤهم محتفظات به وذلك الحجل
الذي كان يظهر على وجوههن مدة بقائي بينهن . ولعل احسن شيء رايت هو بعض
فتيات لم يخرجن من البيوت مطلقا بل كن يقفن وراء النوافذ لا اقول محتجبات
ولكنني اقول انهن لم يرسلن نحوي غير النظرات . اما الجمال والدم العربيان فانهما
يظهران جليا على الوجوه بصفة تدل على ان قرطبة هي المدينة التي احتفظت اكثر من
غيرها على الطينة العربية .

أما المعيشة هنا فهي اخف منها في اشبيلية . وغالت مواد المعاش رخيصة . وحتى
الفنادق فإن اثمان المبيت فيها معتدل جدا ضرورة ان ثمن البيت عن الليلة الواحدة
يتراوح بين سبع بسيطات وخمسة عشر بسيطة (اي بين ٣٥ و ٧٥ فرنكا عن الليلة
الواحدة) مثل (فندق اسبانيا وفرنسا) بنهج القران كابتان رقم ١٢ وفندق
(كواترونا سيوني) بنهج سان ميغيل رقم ٤ و (فيكتوريا) بنهج الادريوس رقم ١٣ وفندق
(لافرانسيا) بساحة رامول اي كاجال رقم ٨ وفندق (الكارمين) بنهج ديك
هورناسيولوس رقم ١٢ وفندق (بينانسولار) بنهج كومادور رقم ٧ وهي كلها صالحة
للطبقة المتوسطة إلا اذا اراد الانسان ان يسكن في فنادق احسن منها فامامه عندئذ
(الريحينه) وبيوته من ٢٠ الى ٤٥ بسيطة (من ١٠٠ الى ٢٢٥ فرنكا عن الليلة)
وفندق « سيمون » وتراوح اثمانه بين ١٦ و ٥٠ بسيطة (من ٨٠ الى ٢٥٠ فرنكا عن
الليلة) وقد بينت البسيطة الاسبانية بقيمتها على حساب الفرنك في الوقت الذي كنت فيه
في الاندلس . وما على الذين يريدون ان يعرفوا صرفها الا ان ينظروا اسعار البورصة الوقتيه .
اما عربات الخيل العمومية فثمن الانتقال فيها بسيطة وربع نهارا وبسيطتان ليلا
اذا ركبها رجل واحد او رجلان على الاكشر وكل واحد يزيد عليهما يضاف
عليه نصف بسيطة . واثمانها بحساب الساعات فبسيطتان على الساعة لراكب او
راكبين مع اضافة بسيطة اخرى على من يزيد عليهما . ونلاحظ ان هناك اداء حتى
على الحقائق سواء كانت كثيرة ام صغيرة ولو انه اداء طفيف .

واحسن شوارع المدينة اليوم هو شارع « القران كابتان » وعرضه عشرون مترا
وفيه الفنادق والمقاهي الكبرى وديار السينما والملاهي . وقد رايت اناسا يلبسون
لباسا خاصا لا شغل لهم الا الاعتناء بنظافته وهم يغسلونه بالماء مرتين في كل يوم
بواسطة انابيب غليظة من الكاوتشوك تخرج منها المياه بقوة عظيمة فتزيل كل شيء التصق
بارض هذا الشارع . ولا فائدة في ان ادل الناس عليه فهو النهج الاول الذي يدخله
القادم على قرطبه عند ما يخرج من محطة القطار . وعند انتهائه يجد الانسان نفسه امام



ثلاثة انهج واحد على يمينه يوصله الى بستان عمومي جميل جدا يمكنه ان يقضي فيه ساعات لذیذة وآخر على يساره يوصله الى ساحة كافوفاس اذا هو تجاوزها وجد نفسه في شارع تجاري ضيق ومنحدر ينتهي الى سوق الخضرا اما النهج الثالث وهو نهج (سان فيليب) فهو الطريق المؤدي الى الجامع الاعظم بعد المرور بنهج «فلادريس» ثم نهج «باستور» ثم نهج «بيانس» واخيرا الروغان على اليسار مع نهج «جيدريه» اين يكثُر باعة الفطائر والحليب صباحا . ولا يكاد الانسان يخطو بعض خطوات فيه حتى يشاهد الجامع الاموي امام عينيه يمثل القوة والجلال .

الى هنا يمكننا ان نصل في التحدث عن مدينة «قرطبه» وعند هذا الحد يمكننا ان نقف ضاربين صفحا عن التحدث عنها في سالف التاريخ لان ذلك كله موجود في بطون الكتب التي لا تكاد تحصى

ولكن قبل ان نغادرها يجب علينا ان نغتنم فرصة نصف يوم تقضيه في «مدينة الزهراء» التي حدثنا التاريخ كثيرا عنها وعن الابداع الذي وصلت اليه العرب في بنائها والتي تبعد عن قرطبه بستة كيلومترات تقريبا حتى اذا نحن زرتها ورجعنا منها امكننا ان نرتحل من هذه الربوع الى مكان آخر يحتوي على اهم شيء خلقته اجدادنا ناطقا بتقديمهم وبذوقهم الذي لا زال الى يومنا اعجوبة الدنيا ونعني به القصور الحمراء بمدينة غرناطة فالى الملتقى في الجزء الثاني

تم الجزء الاول من دليل الاندلس

ويليه الجزء الثاني

وفيه وصف مدينة الزهراء وغرناطة والجزيرة الخضراء وجبل طارق

